الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قســم اللغة العربية وآدابهــا

كليــة الآداب و العلوم الانسانية

جـــامعة الحـــاج لـــخـضر – بـــاتنة –

التركيب والـدلالة في كتاب:

ســـألت التاريخ عـن أمتي فـــأبان

للدكتور الشريف ميهوبي

مذكرة ماجستير في علوم اللسان العربي

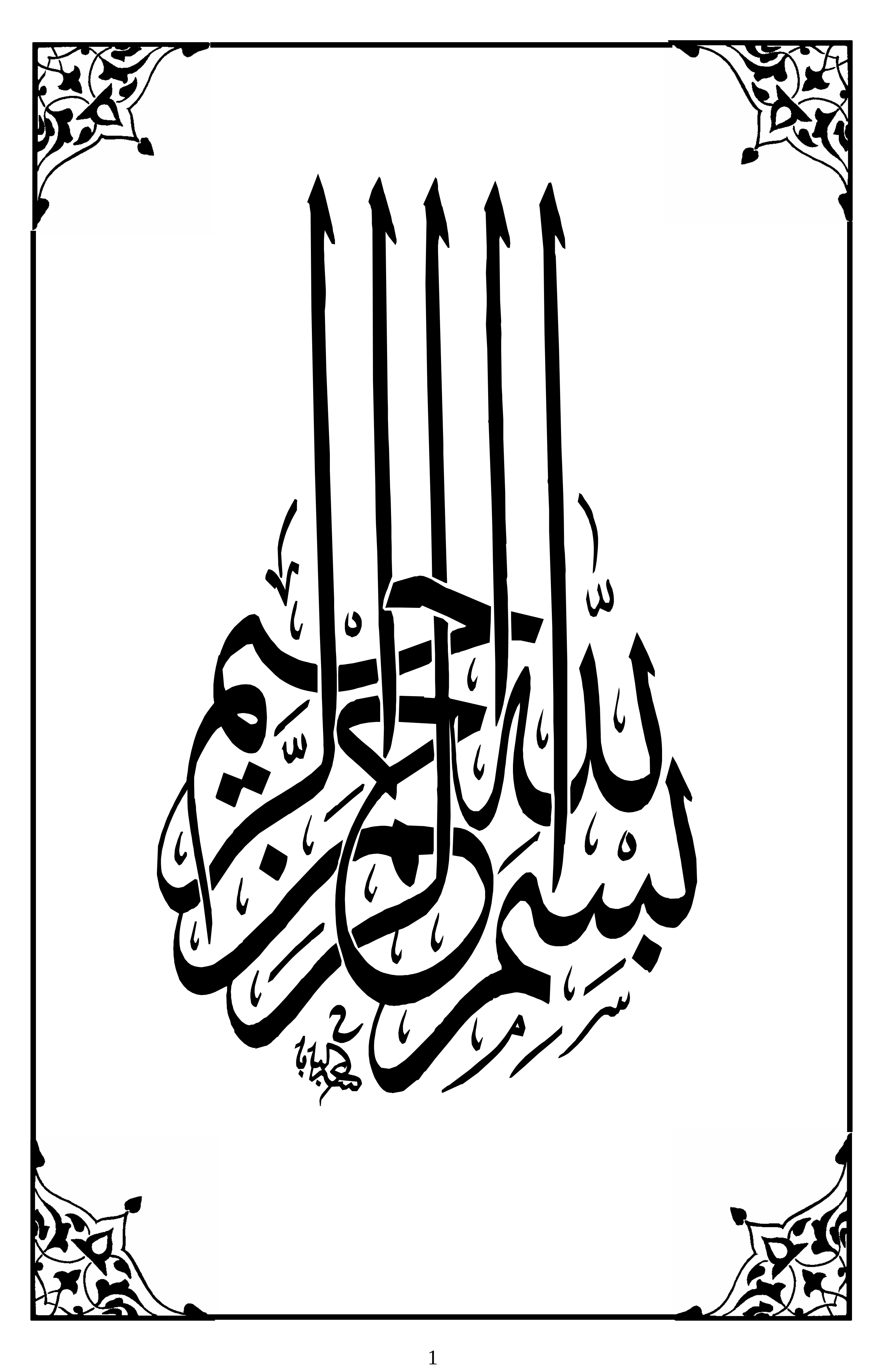
إعداد الطالب:

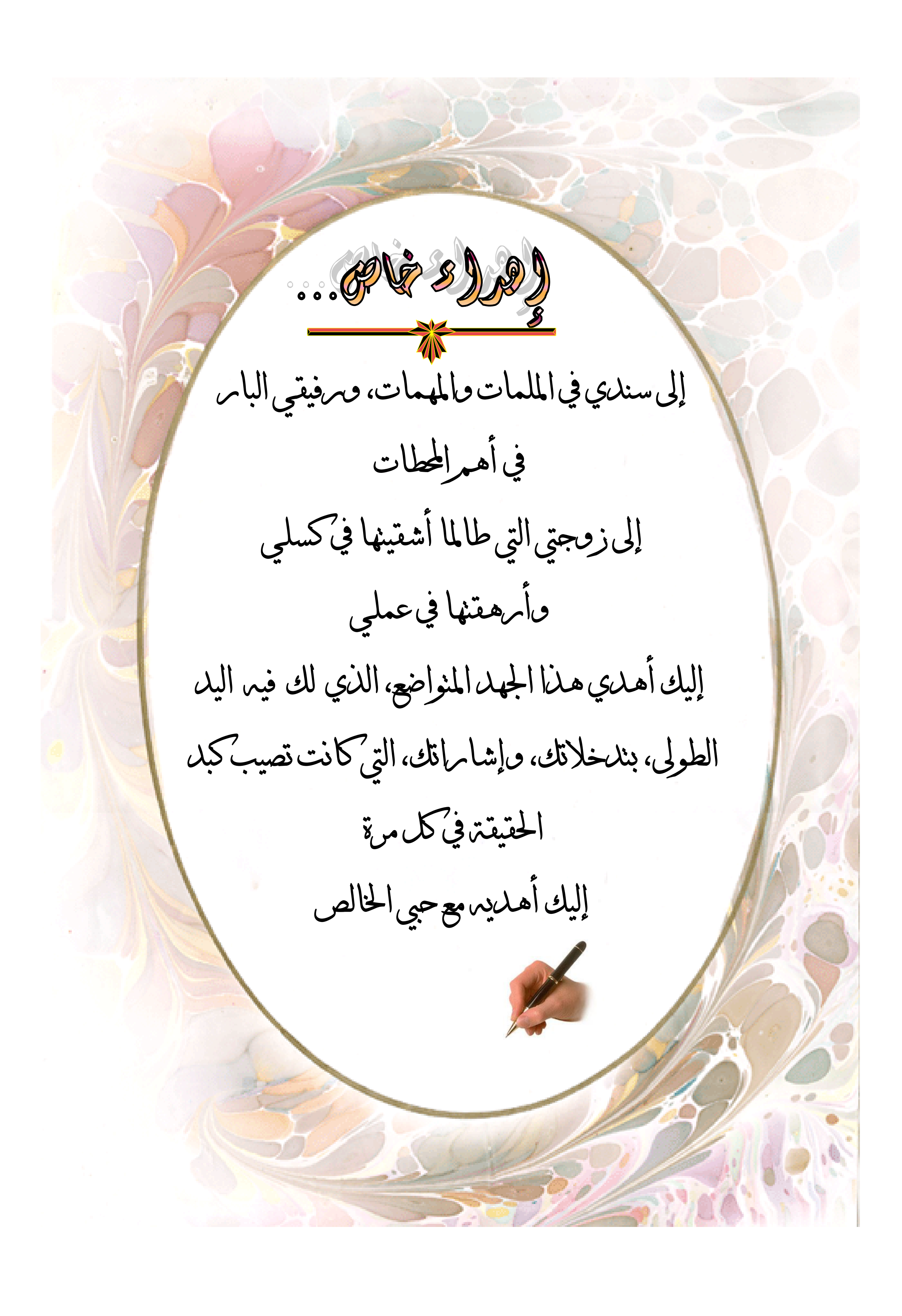
- الطـــاهر لحـــواو

إشراف الأستاذ الدكتور:

- فـرحـــات عيـــاش

السنـــة الجـــامعية 2009/2008


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء خاص...

إلى سندي في الملمات والمهمات، ورفيقي البار

في أهم المحطات

إلى زوجتي التي طالما أشقيتها في كسلي

وأرهقتها في عملي

إليك أهدي هذا الجهد المتواضع، الذي لك فيه اليد

الطولى، بتدخلاتك، وإشاراتك، التي كانت تصيب كبد

الحقيقة في كل مرة

إليك أهديه مع حبي الخالص



قال شوقي وقد صدق:

قم للمعلم وفّه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا .

إلى الذي علمني وأنا غر، واجتثني من بين مخالب الجهل، ونفخ في روحي قبسا من نور العلم وأوقد فيها مشعلا بدّد ظلمات جهلها، وأرشدها بعد أن كادت تتوه، إليك معلمي "دحمان عمر" لأعلن بأني لازلت وسأبقى لك عبدا.

وإلى الذي علمني وأنا كهل، علمني بأن الصبر، والحلم، والتواضع والطموح هي مفاتيح النجاح بل هي قاهرة اليأس، ومانعة لتخاريف الشيخوخة، إليك أستاذي الفاضل

الأستاذ " **فرحات عياش**"

أهدي هذا العمل المتواضع، وأعلن من خلاله إلى شخصك الكريم

وإلى الأساتذة الذين تشرفنا بأن تتلمذنا على أيديهم بالجامعة الغراء

جامعة الحاج لخضر بباتنة، واخص بالذكر الأستاذ "عمر بلخير"، والأستاذ " عبد الحميد دباش" والأستاذ " السعيد هادف"، وعلى رأسهم الأستاذ" الشريف ميهوبي"، أعلن بأنكم أخجلتمونا بتواضعكم، وأحطتمونا برعايتكم، وبهرتمونا بعلمكم، وأدبتمونا بصبركم

وكنتم المحطة النيرة في مسيرتنا الدنيوية.

أطال الله في أعماركم، وتقبل منكم جهودكم، وألهمنا بعضا مما آتاكم. آمين. آمين.

الفهـــرس

مـقـدمة:

يعد العصر الحديث محطة انعطاف هامة وخطيرة في الدرس اللغوي، حيث شهد تطـورات علمية بارعة تمثلت على الخصوص في مناهجه، ولعل أهم ما يثير الانتباه في هذه الدراسات علـى العموم هو اهتمام الدارسين واللغويين- عربا وغربيين - بالتركيب اللغوي، أو الجملة باعتبارهـا أهم عناصر الاتصال.

وإنصافا للحقيقة العلمية نقول: إن البحث في الجملة ليس بالأمر الجديـد في الدراسـات العربية كما يتوهمه البعض جهلا، أو كما يكيله البعض الآخر تهما، انبهارا بكـل غـربي وافـد وشعورا بالنقص أصلوه في أنفسهم بمحض إرادتهم فقد تنبه لهذا الجانب قدماؤنا، إلا أنه لم يدرس بعمق، و لم يعط أهمية وأولوية عدا ما نوّه به بعض العلماء كابن هشام، والجرجاني، وقليـل مـن اللغويين والبلاغيين في شذرات متناثرة هنا وهناك، ولعل ذلك يرجع إلى تأثر الدرس العربي القديم بالمنهج الفلسفي، وأصول الفقه بصورة أخص.

وحديثا ظهر جليا تأثر الباحثين العرب بمناهج الغربيين في دراساتهم، وحـذوا حـذوهم في معظم نظرياتهم اللغوية، وراحوا يطبقونها على العربية، وبصورة أخص على الجملة العربية، والتي هي دون شك ذات خصائص تختلف- ولو في جوانب منها- عن اللغات الأخرى.

وفي خضم هذا التيار القوي انجرف الكثير من الدارسين العرب، تحـت شـعار الحداثـة وما بعدها متجردين من كل تحفظ، غافلين للكثير من مبادئ الموضوعية العلمية، وهو ما أوقعهـم في خندق معاد ورافض لكل قديم. وما الدراسات والأبحاث التي تعج بها المكتبات العربيـة اليـوم إلا دليل على هذا الانسلاخ والانحلال، رغم علمهم بأنهم يمثلون صـوتا نـشازا في سـيمفونية الدراسات العربية الجادة، وإدراكهم أيضا بأنهم لا يشكلون مع الغرب وحدة متجانسة.

ولأهمية الجملة، وما طرحته من إشكالات - بعضها طبيعي، وبعضها الآخـر مفتعـل- وخاصة في عصر تكالبت فيه النظريات الوافدة على اللغة العربية متنا ومنهجا، وددت أن تكـون محورا لهذا البحث، واخترت مدونة معاصرة لعليّ أسقط من خلالها كثيرا مـن التـهم، وأثبـت

من ورائها كثيرا من الحقائق التي أريد لها أن تطمس، وهذه المدونة طبعا هي:"سألت التاريخ عـــن أمتي فأبان "للدكتور الشريف ميهوبي.

1- مشكلة البحث:

بما أن التركيب مظهر التفاعل الحقيقي بين الألفاظ والمعاني، ولأنه بمضامة اللفـــظ للفـــظ يتجسد معنى الكلمة ويصبح واقعا، ومن ثم يحصل الاتفاق بين هذين الجانبين، أي: بين الـــشكل والمعنى، أولا يحصل، أي: أنه من الممكن عندئذ أن يحصل تعارض بينهما بأية صورة، أو يشي مثل هذا التفاعل بدلائل معينة، من أهمها تحديد خصائص أنماط التراكيب من حيث مطابقة ظاهرهـــا لباطنها، أو انطواء شكلها على حقيقة دلالية أخرى مختفية وبناء على هذا فمن المهم أن نبين أنواع التراكيب وصورها ونرصد جوانب التطابق بينهما (اللفظ والمعنى)، أي متى يكون أحدهما مساويا للآخر في خصائصه ودلالاته. كما نرصد جوانب الاختلاف مهما كانت درجاتهـــا، إذ يمكـــن عن طريق المقارنة، والنظرة الفاحصة أثناء الممارسة اللغوية، أن نلحظ في أحايين معينة أن المعـــنى لاحق للفظ.

ولهذه الأسباب فإني سأحاول في هذا البحث، دراسة أثر كل منـــهما موازنـــا بـــالآخر وفي ضوئه، من خلال الممارسة اللغوية في المدوّنة، ولكي نرى آثار ما يبدو من تعـــارض بينـــهما أحيانا، سواء على مستوى التركيب الواحد، أو على مستوى التراكيب المتشابهة.

ثم أسعى لأن أستخلص النتائج المترتبة على ذلك كله في اللفظ، أو المعنى، والـــتي كانـــت لها فائدة خلال الممارسة اللغوية داخل المدوّنة، وما يمكن أن تقدمه من فوائد ملموسة أثناء ممارسة عمليتي التحليل والتفسير.

2- **مبررات اختيار الموضوع:**

من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع (التركيب والدلالة في كتاب: سـألت التاريخ عن أمتي فأبان للدكتور الشريف ميهوبي) أربعة: اثنان منها موضوعيان، والمتبقيان يغلب عليهما الطابع الشخصي كما أرى:

أ- المبرران الموضوعيان:

1- الحاجة إلى الأعمال التطبيقية- حتى وإن كانت متواضعة- ذلك لأن الجانب النظـري غالبا ما يكون وفيرا، ومتنوعا في شتى الموضوعات، إلا أننا حينما نسعى إلى تطبيق مبادئه تصادفنا الكثير من العراقيل، فنزهد فيه، بدعوى انعدام نماذج تحتذي مع قلة الدربة، وتواضع التجربة وهي دعاوى يمليها الخوف والإحجام.

ولئن كانت تجربتي بسيطة، إلا أنها تسعى إلى تحطيم جدار الخوف والتـردد مـن جهـة ولتدحض مقولة العين التي لا تقاوم المخرز من جهة أخرى.

2- ونحن على مقاعد الدراسة كنا نرى في الدكتور الشريف ميهـوبي مثـالا للأسـتاذ والمثقف الذي استطاع أن يزاوج بين الأصالة والمعاصرة، وذلك من خلال محاضراته، ونقاشاته، بل ومن خلال تحريضه للطلبة على فتح الأبواب والنوافذ للرياح المتجددة، شريطة أن لا تجتثهم مـن جذورهم. فأردت أن الحظ أثر ذلك في كتاباته وأظهره، وخاصة وأن المدونة كتبت في تـواريخ مختلفة ومتباعدة نسبيا ، إذ غالبا ما يكون البون بين القول والفعل شاسعا لدى بعض من النـاس ويتخذون من البهرج والزخرفة اللفظية طاقية الإخفاء.

ب- المبرران الشخصيان:

1- وأنا أدرس تلامذتي، أو أطالع كتابا رسميا أقرته وزارة التربية الوطنية، كنـت أجـدني دائما امتعض، بل وأتأفف كلما عرضنا أنا وتلامذتي إلى التعريف بالأديب، لأننا نجـد أنفـسنا- ملزمين وإلا عوقبنا من خلال الامتحانات الرسمية، أي امتحانات نهاية المرحلة التعليميـة- بـأن نتعرض ولو بالإشارة إلى تاريخ الوفاة إن علم، وأقصد ما أقول (إن علم) ومعنى ذلك أن الأديب

في غالب الأحوال يكون قدمات، وليس مهما هنا التـــاريخ إن علـــم أو جهـــل، وإنمـــا المهـــم هو لماذا لا ندرس إلا الأموات؟ وبعبارة أخرى: لماذا لا نسعى لأن نتعرف عليهم وعلى أعمـــالهم وهم أحياء؟ أم أنه محكوم على الأدباء والمثقفين بالتغييب إلى حين وفاتهم؟!.

وهذا الجانب يكرس وبقوة الفكرة القائلة بأن في الثقافة العربية، الكـــثير مـــن الوقـــوف على الطلل، والكثير من محطات الانتكاس واليأس.

وإذا أردنا أن نغير ولو بأضعف الإيمان، علينا أن نلتفت إلى الأحيـــاء عرفانـــا لجهـــودهم وحمدا لصبرهم، وتشجيعا لمرابطتهم على تخوم الجهل يصدونه بمهجهم وماء حيـــواتهم، وليعـــرف أيضا جيوش المنضوين تحت لواء العلم والمعرفة، بأن لهم قادة يخططون ويعملون للنصر، حتى تقوى عزائمهم ويشتد عودهم، وإلاّ متى تحقق نصر في غياب القائد أو موته؟.

2- لم أجد من وسيلة مثلى أرد بها جزءا من جميل الأساتذة الأفاضل الذين أشرفوا علينـــا في الدراسات العليا خلال العام الجامعي 2006/ 2007 من جهة، ومن جهة أخرى تعبر عما حبانا به الله دون إخوان لنا، سوى أن أدرس مدوّنة لواحد منهم، ويشرف عليها واحد منـــهم. أيـــضا لعلي بذلك أقول: جزاكم الله عنا خير الجزاء.

3- **منهجية البحث:**

لما كان المنهج في الدراسة بمثابة الطريق والدليل في الرحلة، فإنني سأحرص على إتباع المنهج الملائم لطبيعة الموضوع وأفكاره، أي سأتبع المنهج التاريخي في الفصلين الأوليين، لأنهما يتطلبان رصدا وتتبعا تاريخيين، ثم سأسلك في الفصل الثالث المنهج الوصفي التحليلي، نظرا لما يقتضيه العمل من وصف للتراكيب، وأنماطها ودلالاتها، ثم تحليلها وتوجيهها الوجهة التي تخدم أهداف الموضوع ومراميه.

وقد قسمت هذا العمل إلى مقدمة وثلاثة فصول. أما المقدمة فبينت فيها أهمية الدراسات التي تعنى بالتراكيب اللغوية إجمالا، وخصوصية التركيب (الجملة) في اللغة العربية، وأوضحت مدى الخلط الذي حصل لدى بعض الدارسين المحدثين، لسبب أو لآخر، وبينت أن هذا الخلط هو واحد من دوافع هذه الدراسة، لعلي أقدم جديدا من خلال مدونة لا تزال بكرا.

وأما الفصل الأول، فقد خصصته لجمع أهم ما ورد عند القدامى حول الجملة اصطلاحا وتقسيما، متتبعا أهم ما قيل في هذا الشأن، من لدن مجموعة من الأعلام، والرواد في الدراسات اللغوية العربية، وكيف تبلورت هذه الآراء حتى وصلت إلى شكلها النهائي بدءا بمصطلحي الكلام والحديث عند سيبويه و انتهاء بمصطلح الجملة وأقسامها عند ابن هشام الأنصاري.

وأما الفصل الثاني فقد تناولت فيه مصطلح الجملة وأقسامها عند المحدثين- عند أبرزهم وأكثرهم حضورا وتأثيرا حسب اعتقادي- ومدى الاختلافات- والتي يصح أن نسميها في بعض المواقف خلافات- الحاصلة بينهم، وما آخذوا عليه أسلافهم نقدا وانتقادا متأثرين بالفكر اللغوي الغربي، الذي ظهرت آثاره على غالبية أعمالهم، بمختلف اتجاهاتهم، انطلاقا من المحافظين ووصولا إلى المغالين.

وأما في الفصل الثالث فإني حاولت أن أتعرض إلى أنواع الجمل (التراكيب) ودلالاتها بالوصف والتحليل، في مدونة رأيت أنها زاوجت بين الأصالة والحداثة، وركزت على جزء منها

أكثر من الجزأين المتبقيين، على أساس أن هذه المدونة (سألت التاريخ عن أمتي فأبـــان للـــدكتور الشريف ميهوبي).

اشتملت ثلاثة أقسام، أهمها والذي كان محل تركيز ما كان متعلقا بالجزائر، تاريخا، ووطنا وهوية، ومقومات، واستشرافا للمستقبل.

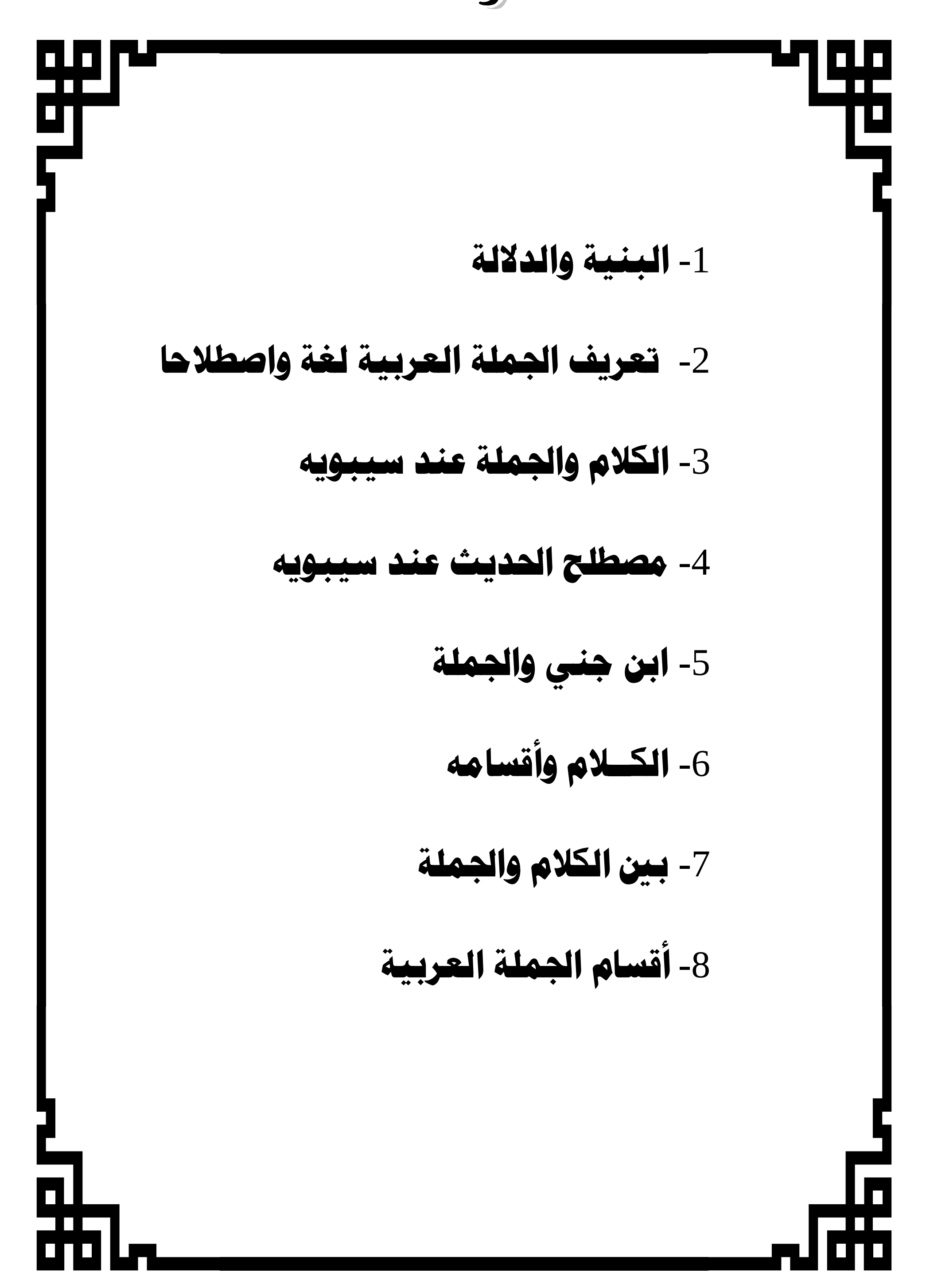
أما القسمان المتبقيان، والخاصان على الترتيب، بالعراق وفلسطين، فقد كانـــت وقفـــاتي عليهما محتشمة وخفيفة في أحايين كثيرة.

وفي الأخير ذيلت هذا العمل المتواضع بمجموعة من الملاحظات، قامـــت مقـــام النتـــائج المستخلصة- وإن كانت تلامسها على استحياء- والتي يمكنها أن تكون نواة لدراســـات أخـــرى ومنطلقا للنقد والتقويم.

وفي الختام استسمح أستاذي الفاضل (**الدكتور الشريف ميهوبي**) إن كنت أســـأت فهـــم وتفسير بعض ما كان يهدف إليه، وعذري في ذلك أني اجتهدت، وحفزني على هـــذا الاجتـــهاد أستاذي الكريم، ومثالي الأعلى في الاجتهاد، الأستاذ الدكتور فرحات عياش- أطال الله في عمـــره ومتعه بالصحة والعافية- الذي كان يقول دوما: متعة النص، في تعدد القـــراءات، وإذا تحولـــت القراءة إلى النمطية فقد قتل النص، وهو بهذا علمنا كيف يمكن للإنسان أن يكون مجتهدا، وعظيما عظيما في صبره، وعظيما في حلمه، وعظيما في علمه، وعمله، أدامه الله منارة لكل مجتهد ولكـــل طالب علم.

الطالب: الطاهر لحواو.

الفصل الأول: الجملة العربية مصطلحا وتقسيما عند القدماء



1- **البنية والدلالة**

2- **تعريف الجملة العربية لغة واصطلاحا**

3- **الكلام والجملة عند سيبويه**

4- **مصطلح الحديث عند سيبويه**

5- **ابن جني والجملة**

6- **الكــلام وأقسامه**

7- **بين الكلام والجملة**

8- **أقسام الجملة العربية**

1- البنية والدلالة:

عني علماء اللغة بدراسة النحو لدوافع دينية أكثر من غيرها، ساعدت على ظهور الـــدرس النحوي، الذي احتل مكان الصدارة بين الدراسات اللغوية، والأدبية، والنقدية الأخرى. وقد ميز المتقدمون في هذه الدراسة بين مستويين من الدراسة النحوية، انصب الأول على استكناه الصواب والخطأ في طريقة الأداء، ولا سيما قراءة القرآن الكريم. وكان الثاني متجاوزا لهذا المجـــال، فقـــد انصب على دراسة النواحي الجمالية والإبداعية في اللغة، فكشفت دراسة المستوى الأول عن تلك القواعد المجردة التي استند إليها النحويون في كلام العرب الفصيح، المنقول نقلا صحيحا ثم قيـــاس ما لم ينقل على ما نقل إذا كان في مساره. أما المستوى الثاني فقد بحث في العلاقات المتنوعة بـــين الكلمات والجمل، الأمر الذي دفعهم إلى دراسة التركيب " إذ الخبرة بتراكيب اللغة تعني الخـــبرة بالأغراض التي تعبر عنها[1] وما توحيه هذه الأغراض من تغير في المعنى والدلالة.

وينبغي - للإحاطة بهذا المستوى من الدرس أن يشار إلى معنى التركيـــب وبيـــان دلالتـــه من حيث تحليل أصغر مكوناته وعناصره؛" بالوصول إلى خصائصه وأثرها في السياق العام لنظـــام التركيب[2] " فقد أخذت لفظة التركيب لغة من ركب فلان الشيء تركيبا، أي وضـــع بعـــضه على بعض[3] وفارس مركب: أعطاه رجل فرسا يغزو عليه على أن له بعض غنمه[4] وشيء حسن التركيب، كتركيب الفص في الخاتم، والنصل في السهم، يقال ركبته فتركـــب، فهـــو مركـــب وركيب، والتركيب أيضا: الأصل، والمنبت، ورواكب الشحم: طرائق بعضها فوق بعض في مقدم السنام[5].

1- عبد العباس عبد الجاسم، التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، المجمع الثقافي، دط، أبوظبي، الإمارات، 2001 ص14.

2- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، مصر، 1979، ص17.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1955، مادة (ركب)، ج1، ص 1214.

4- الزمخشري، أساس البلاغة، ت/عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، دط، بيروت، لبنان، 1982، ص175.

5- اللسان (ركب)، 1/ 1214، مرجع سابق.

أما من حيث الاصطلاح فقد تعددت دلالاته، ومقاصده، فعني به الترتيب من دون أن يكون بتقدم بعض أجزائه على بعض أوتأخرها. وقيل: هو جمع الحروف البسيطة ونظمها لتكون كلمة[1] أو: هو جمع حرفين من أحرف المعاني لبناء حرف معنى آخر ينشأ عنه معنى جديد، مثل تركيب (لن) النافية الناصبة للفعل المضارع، من حرفي (لا) النافية، (وأن) الناصبة على رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي[2] أو: هو استخلاص كلمة جديدة كلما ضمت كلمتان مستقلتان أو أكثر؛ لتنشأ عنه كلمة جديدة تدل على معنى مركب مثل: عبشمي، وعبقسي، وهذا المفهوم الأخير واقع عند أهل اللغة بين مصطلحي التركيب والمركب[3] . إن المدلول الذي يهدف إليه البحث لا يقرب كثيرا إلى ما هو معني في هذا المقام وإنما يقصد به: الأشكال التي يدل فيها اللفظ على معنى غير مفرد، سواء أكان هذا المعنى تاما يحسن السكوت عليه، أم كان ناقصا فيه حاجة إلى ما يضاف إليه، وبذا يشمل مفهوم التركيب الجملة بكل صورها، بسيطة كانت أم مركبة صغرى كانت أم كبرى[4] أما ما يتعلق بالجانب الدلالي فلا بد أن نشير أنّ الدراسة الدلالية قديمة قِدم التفكير الإنساني، فقد تعرض الفلاسفة اليونانيون في القديم في مناقشاتهم وأبحاثهم، لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة، فأرسطو تحدث عن الفرق بين الصوت والمعنى وذكر أن المعنى متطابق مع تصور الموجود في العقل المفكر[5] وكذلك كان موضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله من القضايا التي تعرض لها أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط[6].

والهنود عالجوا منذ وقت مبكر جدا كثيرا من القضايا التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل، بل ناقشوا معظم القضايا التي يعدها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة[7] وعلم

---

[1]- الشريف الجرجاني، التعريفات، ت ح/ عبدالمنعم الحفني، دار الرشاد،د/ط، القاهرة،1991، ص84.

[2]- التحول في التركيب، مرجع سابق، ص15.

[3]- المرجع نفسه، ص15.

[4]- المرجع نفسه، ص15.

[5]- عمر احمد مختار: علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998، ص17.

[6]- المرجع نفسه، ص18.

[7]-مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،بيروت، لبنان، 2005، ص335.

الدلالة SEMANTICS مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى[1] وهذا المصطلح ظهـــر في الإنجليزية حديثا على الرغم من أن كلمة SEMANTICK وردت في القـــرن الـــسابع عـــشر في عبارة SEMANTICK PHIOSOPHY وتعني الكهانة، وقد صـــيغت كلمـــة SEMANTIGUE الفرنسية من اللغة اليونانية[2] وهي SEMAINO (دل، عنى) وهي نفسها مشتقة من (SEMA) دال وقد كانت في الأصل صفة تدل على كلمة <<معنى>>[3] أطلقت عليه أسماء عدة من أشهرها في الإنجليزية SEMANTICS وفي اللغة العربية بعضهم يسميه علم الدلالة (بفتح الدال وكـــسرها) وبعضهم يسميه علم المعنى، وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك أخذا من الكلمة الإنجليزيـــة أو الفرنسية[4]، وقد عرف تعاريف عدة: منها دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعـــنى، أو ذلـــك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الـــشروط الواجـــب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى وقد استخدم في البداية للإشارة إلى تطور المعنى وتغيره[5].

وعلم الدلالة يعنى بدراسة معنى الكلمات، واندراجها ضمن نظام معين، ووظيفتها، وعلى عاتق هذه الوظيفة يقع نقل المعنى[6]، وهو لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة، لأن الكلمات ما هي إلا وحدات يبني منها المتكلمون كلامهم، ولا يمكن عد كل كلمة منـــها حـــدثا كلاميـــا مستقلا قائما بذاته[7] لأن المفردة لا معنى لها، ولا قيمة، إذا أخذت منعزلة عن الـــسياق الـــذي وردت فيه، فمعاني المفردات يتوصل إليها المرء من خلال تفاعل الإمكانـــات التفـــسيرية لمجمـــل الكلام، ويقوم السياق بتحديد دلالة المفردة، من بين احتمالات معنوية كثيرة، يمكـــن إســـقاطها عليها، والسياق يضيف ارتباطات عدة، تنعكس على الدلالة المنصوص عليها معجميا، وتـــضفي

---

[1]- المرجع نفسه، ص335.

[2]- المرجع نفسه، ص335.

[3]- جيرو، بيير: علم الدلالة ترجمة د/ منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، 1992، ص16.

[4]- عمر أحمد مختار: علم الدلالة، ص11.

[5]- مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص336.

[6]- جيرو، بيير، مرجع سابق، ص21.

[7]- عمر أحمد مختار: علم الدلالة، مرجع سابق، ص12.

عليها مختلف الإيماءات (فالطاقات الإيحائية للمفردات تستقيم، وتكتمل عبر العلاقات التي توجه توافقها، وتآلفها في السياق، ومن ثم لا يكون للمفردة معنى مسبق، إذ أن المعنى يكون فقط في السياق الكلامي، وفي تآلف الكلمات بالذات تختزن المعاني، وتنخرط في علاقات متجددة مستجيبة لمتطلبات التعبير[1].

فالكلمة تتضمن معنى أساسيا، ومعنى سياقيا، ولكن السياق هو الذي يحدد المعنى، لأن الكلمة تنهل معناها من السياق الذي ترتبط به، وهذان المعنيان لا يزدوجان، لأنه يوجد معنى واحد لكل حالة، إنه المعنى السياقي، والكلمة ضمن سياقها، تقابلها صورة مفهومية واحدة[2].

والكلمة أيضا ليست هي الشيء، وإن استدعاءها له، لا يكون مباشرة، مثلها في ذلك مثل الشاشة، حيث إن الشيء نفسه، ووحده هو الذي يحرك المشاعر، ولهذا تكون عملية إيصال المفاهيم مصحوبة ببعض الإشارات الطبيعية التي تكون موجودة في حالة كمون ضمن اللغة نفسها.

و لما كان للكلمات معان إشارية، فإنها تكتسبها من خلال كونها أجزاء من جمل، فالمعنى الإشاري يبدو أنه حقيقة للجمل[3]، ومعنى الجملة يمكن أن يستمد من مجموع معاني الكلمات لأن " كل كلمة لها معنى، وليس لها دلالة، لأن الدلالة من خصائص الجملة، والجملة لا تتوفر إلا بتوفر التركيب، فإذا كان المعنى يوجد بدون تركيب، فإنه يستحيل أن توجد الدلالة بدون تركيب، ومن ثم فإن المكونين: التركيبي والدلالي يدخلان في علاقة وطيدة "[4]. فحين تتوالى الجمل عبر مسار خطي مشكلة سياقا كلاميا ذا معنى في نص أدبي، يمكن القول عن هذا النص: (إنه موضوع انسجام خطي عندما تحيله جملة واحدة بعد الأخرى على وقائع مترابطة فيما بينها بعلاقة شرطية خاصة، إن هذه العلاقات بين الوقائع تصاحب في الغالب بعلاقات بين أشياء أو خصوصيات، أو أشخاص، أو أعمال تنتمي إلى وقائع)[5] تؤدي إلى بلورة معان تفتح المجال

1- زكرياء ميشال: التطور الدلالي في الشعر العربي المعاصر، كتابات معاصرة، بيروت، مج 2، ع 5، 1990، ص14- 15.

2- جيرو، بيير، علم الدلالة، ص56- 57.

3- مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص336.

4- مرشد أحمد، مرجع سابق، ص337.

5- فان ديك: نظرية الأدب في القرن العشرين: ترجمة د/ محمد العمري، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1،1996،ص57- 58

واسعا أمام المتلقي، ليقوم بعملية تأويل للنص المقروء، وذلك باختيار عناصر تبدو مهمـــة حاسمـــة لتشكل بنية نصية دالة.

2- **تعريف الجملة العربية لغة واصطلاحا:**

الجملة لغة: واحدة الجمل، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقه، وأجمل له الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء بكامله من الحساب وغيره، يقال: أجملت له الحساب والكلام، قال الله تعالى: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [1].

أما الجملة اصطلاحا فلم يتفق النحاة على تعريف واحد يشمل جميع جوانبها سواء قـــديما أو حديثا، وحتى الغربيون لم يتفقوا على تعريف واحد إلى درجة أن أحدهم ذهب إلى أنه (يوجد حوالي مائتي تعريف للجملة وكلها مختلفة" [2].

ولعل هذا الإشكال يعود إلى كون الكلام مظهرا من مظاهر السلوك الإنساني المعقد حيث اعجز الفلاسفة واللغويين على معرفة المحرك الأساسي للغة الإنسانية وعدم معرفة العام يعني بالكاد عدم معرفة الخاص[3].

3- **الكلام والجملة عند سبويه:**

يجمع الدارسون على أن سيبويه لم يستخدم في (الكتاب) مصطلح الجملة أبدا، وقد ذكر في مواضع كثيرة جدا مصطلح الكلام، و لم يكن يعني به الجملة بتاتا، (فوجدنا أن مصطلح الكلام كان يعني به عدة معان أهمها: الاسم، الحرف، عموم النثر العربي، تمام الفائدة وغيرها)[4].

أ- الاسم: ومن ذلك قوله: "قولك عمرو لقيته، وزيد كلمته، إن حملت **الكـــلام** علـــى الأول، وإن حملته على الآخر قلت: عمرو لقيته وزيدا كلمته، وتقول: زيد ضربني، وعمرو مررت

1- لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ج م ل).

2- جورج مونان: مفاتيح الألسنية ترجمة الطيب البكوش، منشورات الجرير،تونس، 1981، ص121.

3- نوار عبيدي، التراكيب في المثل العربي القديم، ط1، مطبعة المعارف،2005، ص31.

4- نوار عبيدي: التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص32.

به، **إن حملته على زيد** فهو مرفوع، أي إن حملت الكلام على زيد فهو مرفوع، ويقصد بـــالكلام **(**عمرو**)** وهو اسم[1]**.**

ب- الحرف: ومن ذلك قوله**: (...** لأنك تقول أنت **من** خلفي، ومعناه أنت خلفي ولكن الكلام حذف أي حرف الجر من**)**[2]**.**

ج- عموم النثر العربي: وذلك بمقابلته مع الشعر حيث قال**: "**اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف مالا ينصرف**"**[3]**.**

ويقول**: "...**لأنهم يدعون هذه الهاء في كلامهم وفي الشعر كثيرا وذلك ليس في شيء من كلامهم، ولا يكاد يكون في الشعر**"**[4] وهنا مقابلة واضحة بين الكلام **(** النثر**)** والشعر، ويقـــول**: "...**وقد جاءت على ذلك في الكلام والأشعار**"**[5]**.**

د- تمام الفائدة: ومن ذلك قوله**: "...**ونقول ما زيد كريما، ولا عاقلا أبوه، تجعله كأنـــه للأول بمترلة كريم لأنه ملتبس به، إذا قلت أبوه تجريه عليه كما أجريت عليه الكريم، لأنك لو قلت ما زيد عاقلا أبوه، لنصبت وكان كلاما**"**[6] أي تاما ومفيدا**.** وقوله**: "** ونقول**:** مازيد ذاهبـــا، ولا عاقل عمرو، لأنك لو قلت ما زيد عاقلا عمرو؛ لم يكن كلاما**"**[7] أي غير تام وغير مفيد**.**

وقوله**: "**لو قلت**:** السوط ضربت، فكان هذا كلاما، أو الخوان أكلت، لم يكن إلا نـــصبا كما أنك لو قلت**:** أزيدا مررت فكان كلاما لم يكن إلا نصبا**"**[8]، وقوله**: "**واعلم أن **(** قلت**)** إنما وقعت في كلام العرب على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كـــان كلامـــا لا قـــولا**"**[9]**.**

---

[1]- المرجع نفسه، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

[3]- سيبويه: الكتاب تحقيق د/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، ج1، ص92.

[4]- المرجع نفسه، ج1، ص72

[5]- المرجع نفسه، ج1، ص411

[6]- سيبويه، المرجع السابق، ص61.

[7]- المرجع نفسه، ص61.

[8]- المرجع نفسه، ص104.

[9]- المرجع نفسه، ص122

ويظهر هنا أنه لا يقصد الجملة أبدا، مع أن هذه الفقرة هي التي يستشهد بها الكثير فيمن ذهـــب إلى أن سيبويه يقصد بالجملة الكلام[1].

4- **مصطلح الحديث عند سيبويه:**

ولو جرينا على ما جرى عليه الدارسون لقلنا إن سيبويه أطلق على الكلام مصطلحا آخر وهو (الحديث) وبالتالي يمكن إطلاقه على الجملة ما دام يقصد بالكلام الجملة، وفي الكتاب يـــرد لفظ الحديث في مواقع مختلفة منها قوله: "...ومن هذا الباب ألزمت الناس بعضهم بعضا، وخوفت الناس ضعيفهم قويهم فهذا معناه في **الحديث** المعنى الذي قولك: خاف الناس ضعيفهم قـــويهم[2] وقوله: " ولو قلت هذا ضارب عبد الله وزيدا، جاز على إضمار فعل، أي وضرب زيدا، وإنما جاز هذا الإضمار لأن معنى الحديث في قولك هذا ضارب زيد، هذا ضرب زيدا[3].

وقوله: "...لأن معنى الحديث حين قال: إن زيدا منطلق؛ زيد منطلق ولكنه أكد بإن"[4].

وقد يظهر لنا في هذا النص الأخير أنه يقصد بالحديث الجملة التي هي: إن زيدا منطلـــق وزيد منطلق. وهناك مواقع أخرى كثيرة ذكر فيها هذا المصطلح[5].

وقد ذكر ابن جني (ت 392هـ) هذا المصطلح وقصد به الكلام حين قال:" بأن الجمـــل هي قواعد الحديث[6] أي قواعد الكلام، ولعله أخذ هذا المصطلح عن سيبويه[7].

وقد أطلق على الأمثال العربية- وهي جمل مفيدة- مصطلح الأحاديث، وقد ذكرها الفخر الرازي (ت 606هـــ) حين قال: (هذه الكلمات والعبارات وقد تسمى أحاديث قال الله تعالى: " فليأتوا بحديث مثله"[8] والسبب في هذه التسمية أن هذه الكلمات إنما تتركب من الحروف المتعاقبة

1- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، ص33.

2- الكتاب، ج1، ص153.

3- المرجع نفسه، ص172.

4- المرجع نفسه، ص183.

5- أنظر الكتاب،ج1، ص61، 149، 303، 345.

6- التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابقن ص35.

7- المرجع نفسه، ص35.

8- الآية 34 سورة الطور.

المتوالية فكل واحد من تلك الحروف يحدث عقب صاحبه فلهذا السبب سميت بالحديث)[1]. ومنه أيضا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي هي عبارة عن جمل مفيدة فيها كثير من الإيجاز.

ومصطلح الحديث ذكره ابن السراج (ت 316 هـ) في الأصول: ويفهم منه أنه يقصد به الإخبار حيث قال: " ألا ترى أنك إذا قلت: زيد منطلق فإنما بدأت بزيد وهو الذي حدثت عنه بالانطلاق (أي أخبرت عنه)[2] ثم قال: والحديث عنه بعده (أي الخبر)، وإذا قلت ينطلق زيد فقد بدأت بالحديث وهو انطلاقه، ثم ذكرت زيدا المحدث عنه بالانطلاق بعد أن ذكرت الحديث[3]

ويلاحظ هنا أن (الحديث) يكاد يكون مصطلحا نحويا يعني العملية الإخبارية.

و(الحديث) له ما يقابله في الدراسات اللغوية الغربية، إذ هو قسيم اللغة. تقول كاثرين فوك وبيارلي قوفيك: " إن موضوع الدرس هو اللغة مقابلة الحديث، ويطلق على اللغة لفظ القانون وهي تسمية لها صدى عملي ملموس في درجة كبرى، وإجمالا لا نجد في الإنجليزية مقابلا دقيقا لهذه المصطلحات وهي الكلام واللغة والحديث)[4]، ولعلهما يقصدان بالحديث هنا مصطلح القول وهذه مسألة أخرى.

5- ابن جني والجملة:

ربما دل كلام ابن جني، عن الجملة، على أن سيبويه قصد بالكلام مصطلح الجملة، وقد فهم ابن جني أن الكلام عند سيبويه "ما كان من الألفاظ قائما برأسه مستقلا بمعناه، وأن القول عنده بخلاف ذلك"[5] وجاء هذا عندما شرح قول سيبويه "واعلم إن (قلت) في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ماكان كلاما لا قولا[6].

1- التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابقن ص36.

2- زيادة، وليست من الأصل.

3- ابن السراج، الأصول في النحو، ت : د/ عبد الحسين الفتيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1999.

4- التركيب في المثل العربي، مرجع سابق، ص36.

5- ابن الجني، الخصائص، ت ح/ محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د/ط، 1955، ج1،ص20.

6- الكتاب، ج1، ص122.

قال ابن جني، يشرح كلام سيبويه-:(ففرق بين الكلام والقول كما ترى، وأخرج الكلام هنا مخرج ما قد استقر في النفوس وزالت عنه عوارض الشكوك)[1]. ثم قال:"ولما أراك فيه **أن الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها**، وأن القول لا يستحق هذه الصفة...فمعنى هذا يكون قولنا: قام زيد كلاما، فإن شارطا "(إن قام زيد).... فصار قولا، لا كلاما"[2].

ويظهر لنا جليا كيف صرح ابن جني بأن سيبويه قال إن الكلام هو الجمل، مع أن سيبويه لم يشر إلى ذلك، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن مشكل المصطلح بدأ من هنا في تقويل سيبويه ما لم يقل، وتحميل كلامه وجوها غير مقصودة، ولعلها غير معروفة بالأصل. وقد ذهب ابن جني بعيدا حين أكد بأن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها عن غيرها **وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها**، وسيبويه من أرباب هذه الصناعة[3].

ولم نفهم السبب الذي دفع ابن جني إلى تحميل كلام سيبويه على انه أشار في الكتاب إلى مصطلح الجملة، وهو ما تنبّه إليه الفخر الرازي مؤكدا أن ابن جني ليس له دليل في التفريق بين الكلام والجملة سوى تحميله لسيبويه ما لم يقل. يقول الفخر الرازي:" وما رأيت في كلامه حجة قوية في الفرق سوى أنه نقل عن سيبويه كلاما مشعرا بأن لفظ الكلام مختص الجملة المفيدة"[4]. وهذا دليل كاف على أن سيبويه لم يتطرق أبدا إلى مصطلح الجملة. فابن جني هو الذي أوحى - انطلاقا من تأويل كلام سيبويه- أن مصطلح الكلام قصد به الجملة، وهذا الذي أوقع بعض الباحثين في الخطأ[5] ولا ندري لماذا غاب مصطلح (الجملة) عن سيبويه في الكتاب، بالرغم من أنه ذكر مادة (ج م ل) في أوائل الكتاب حين قال: "وما يجوز في الشعر أكثر من أن اذكره لك هنا لأن هذا موضع جمل، وسنبين ذلك في ما نستقبل إن شاء الله[6] وجمل هنا بمعنى الإيجاز، ومثل

1- التركيب في المثل العربي، ص37.

2- المرجع نفسه، ص37.

3- التركيب في المثل العربي، ص37.

4- الرازي،التفسير الكبير، تص/ هيئة من العلماء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، د/ت، ج1، ص17.

5- التركيب في المثل العربي، ص38.

6- المرجع نفسه، ص38.

ذلك معجم ابن فارس الذي أسماه (مجمل اللغة)[1] فالجملة إذن لم تكن غائبة عن ذهـــن ســـيبويه ولكنها غابت ممارسة كمصطلح وعندما فرق ابن هشام الأنصاري (ت761 هــ) بـــين الجملـــة والكلام، في المغني اللبيب. وأكد أنهما ليسا مترادفين، قال بأن الترادف: " يتوهمه كثير من النـــاس وهو ظاهر قول صاحب المفصل"[2] ويقصد الزمخشري، و لم يقل انه قول سيبويه، و هو المتقـــدم على الزمخشري، ودل ذلك على أن فكرة الجملة لم ترد عند سيبويه، وهذا دليل ثان[3].

من هو صاحب مصطلح الجملة؟ الظاهر أن أول من ذكر مصطلح الجملـــة هـــو المـــبرد (ت 285هــ) إذ يقول في باب الفاعل: " هذا باب الفاعل، وهو رفع، وذلك كقولك: قام عبد الله وجلس زيد، وإنما كان الفاعل رفعا، لأنه هو والفعل **جملة يحسن عليها السكوت** وتجب بها الفائدة للمخاطب، والفاعل والفعل بمترلة المبتدأ والخبر، إذا قلت: قام زيد فهو بمترلة: القائم زيد"[4].

وفي هذا النص إشارة إلى أن الجملة تتم بها الفائدة ويحسن السكوت عليها، وأنها قسمان: فعلية واسمية. إلا أن المبرد لم يفرد بابا خاصا للجملة معرفا لهـــا ومبينـــا أقـــسامها، وعناصـــرها وأنواعها، وإذا كان لفظ الجملة اتخذ لديه مصطلحا، فالمصطلح لا يأتي هكذا طفرة، إنمـــا يخـــضع لمراحل يمر بها، واتفاقا يجمع عليه العلماء، كما أن للمصطلح شروطا يجب أن تتوافر فيه[5].

6- الكـــلام وأقسامه:

أما عن الكلام فلم يذكر المبرد تعريفا له إلا أنه قال: " فالكلام كله: اسم وفعل وحـــرف، جاء لمعنى لا يخلو الكلام- عربيا كان أو أعجميا- من هذه الثلاثة[6] وقد ذكر في النص تقـــسيم الكلام وليس تعريفه، وهو هنا يختلف مع سيبويه الذي جعل هذه الأقسام الثلاثة للكلم لا للكلام،

1- قال ابن فارس عن مجمل اللغة: وسميته (مجمل اللغة) لأتبي اجملت الكلام فيه إجمالا و لم أكثره بالشواهد والتصاريف إرادة الإيجاز مجمل اللغة، ج1، ص75.

2- ابن هشام الأنصاري، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت ح/ حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1997، ج2 ص52.

3- التركيب في المثل العربي، مرجع سابقن ص38.

4- التركيب في المثل العربي، ص38.

5- تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، مرجع سابق، ص159.

6- المبرد، المقتضب، ت ح/ عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان،د ط، دت، ج1، ص12.

و هو تقسيم على أساس الشكل، أما الكلام فقد قسمه سيبويه على أساس المعنى كما مر سـابقا، وقد علل السيرافي (ت 368هـ) اختيار سيبويه للكلم فقال: " وقوله (ما الكلم) لم يقل الكـلام لأنه للكثير، والكلم جمع كلمة و لم يقل الكلمات لأن الكلم أخف[1] ولعل سـيبويه كـان أدق في مصطلحه من المبرد، وقد وافقه في ذلك كثير من النحاة كابن جني، وابن يعيش (ت 643هـ) وابن مالك (ت 672هـ)، وابن هشام، والسيوطي، (ت 911هـ) وشراح الألفية وجل هـؤلاء يتفقون على أن الكلام العربي لا يخرج عن ثلاثة أشياء هي: الاسـم والفعـل والحـرف، إلا أن بعضهم أضاف قسما رابعا وأسماه الخالفة، ويقصدون اسم الفاعل، وقيل إن الزيادة لابن جعفر بن صابر[2]. وهذا رأي خالفه الزجاجي (ت 377هـ) واتهم أصحابه بالتخمين والشك حين قـال: "والمدعي أن للكلام قسما رابعا أو أكثر، من متخمن أو شاك، فإن كان متيقنا فليوجدلنا في جميع كلام العرب قسما خارجا عن أحد هذه الأقسام، ليكون ذلك ناقضا لقول سيبويه، ولن يجد إليه سبيلا، وليس يجب علينا ترك ما قد تيقناه وعرفناه حقيقة، وصح في العقول لشك من شك بغـير دليل ولا برهان، لأن الشكوك لا تدفع الحقائق وبالله التوفيق[3].

ويرى ابن الأنباري (ت 577هـ) أن: "هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع مـا يخطـر بالبال ويتوهم في الخيال ولو كان هاهنا قسم رابع لبقي في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه فلما عبر بهذه الأقسام عن جميع الأشياء دل على أنه ليس إلا هذه الأقسام الثلاثة[4] فالكلمة" إن دلـت على معنى يظهر في غيرها فهي حرف، وإن دلت على معنى في نفسها: فإن تعرضت بنيتها للزمان ففعل وإلا فاسم[5].

---

[1]- الكتاب ج1، ص12.

[2]- جلال الدين الشسيوطي، النظائر في النحو، نقلا عن: نوار عبيدي، التركيب في المثل لعربي، ص40.

[3]- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن لمبارك، دار النقائس، ط3، 1979، ص43.

[4]- الأشباه والنظائر في النحو، ج3، ص71.

[5]- الزجاجي، الايضاح في علل النحو، ت ح/ مازن لمبارك، دار النفائس،ط3، 1979، ص43.

7- **بين الكلام والجملة:**

لقد أخذ مصطلح الجملة بعد المبرد مكانة من النحو العربي فظهرت عدة مؤلفات بعضها يحمل عنوان الجملة مثل الجمل للزجاجي ويبدو أنه أول كتاب يحمل هذا الاسم وهناك جمل ابن خالويه (ت 370هـ)، وجمل ابن هشام الأنصاري في المغني، أما ابن جني فقد ذهب إلى التسوية بين الكلام والجملة وهي النتيجة التي وصل إليها بعد تحليله لمصطلحي القول والكلام مستندا إلى سيبويه وفي معرض تعريفه للقول تعرض لتعريف الجملة فقال: "إنه - وهو يعني القول- لفظ مذل به اللسان تاما كان أو ناقصا، فالتام هو المفيد أعني الجملة وما كان في معناها[1]، ثم تعرض للجملة مرة أخرى عندما عرف الكلام فقال إنه: " كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل[2] ويفهم من ذلك أن القول قسمان: قسم تام (مفيد) هو الجملة أو الكلام وقسم ناقص لا يسمى كلاما.

فهو يسوي بين القول التام والجملة والكلام وكل ذلك أساسه الفائدة للمعنى فالكلام "عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها[3] وكل الألفاظ التامة المفيدة تسمى كلاما[4] أما ابن فارس (ت 395هـ) فلم يتعرض للجملة كمصطلح إلا أنه تكلم عن الكلام في باب القول في حقيقة الكلام فقال: " زعم قوم أن الكلام ما سمع وفهم، وذلك كقولنا: قام زيد، وذهب عمرو، وقال قوم: الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى والقولان عندنا متقاربان، لأن المسموع والمفهوم لا يكاد يكون إلا بحروف مؤلفة تدل على معنى"[5]، وخلاصة تعريفه هي: أن الكلام ما سمع وفهم وبأن الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى.

---

[1]- الخصائص، ج1، ص17.
[2]- المرجع نفسه، ص17.
[3]- الخصائص، ج1، ص32.
[4]- المرجع نفسه، ج1، ص21.
[5]- الصاحبي، ص74.

وقال في موضع آخر: "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب كقول القائل شربت ماء ولقيت زيدا[1] والتعريفان متقاربان.

أما الزمخشري فقد ذهب مذهب ابن جني إذ رأى أن الكلام: "هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ويسمى الجملة[2] ومثل ذلك ذكره ابن يعيش في شرح المفصل حيث قال إن الكلام عبارة عن الجمل المفيدة فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها[3]وتظهر واضحة مسألة التسوية بين المصطلحين اعتمادا على الفائدة التي يتم بها الكلام أو الجملة.

أما ابن هشام فيرى أن الإفادة تخص الكلام دون الجملة،"ولهذا تسمعهم يقولون جملة الجواب، وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام،[4]. وهو بهذا يرد على الزمخشري ومن ذهب رأيه في ترادف الكلام والجملة حيث قال: " وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال ويسمى جملة، والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها"[5] والكلام هو القول المفيد بالقصد[6]، والإفادة عند ابن هشام:" مادل على معنى يحسن السكوت عليه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله ك (قام زيد) والمبتدأ وخبره ك (زيد قائم) وما كان بمنزلة إحداهما نحو: ضرب اللص، أو أقائم الزيدان؟ وكان زيد قائما وظننته قائما[7]، فأضاف المبني للمجهول والاستفهام والمنسوخ.

فأساس الجملة عند ابن هشام هو الإسناد سواء أفاد أو لم يفد فالتراكيب ذات الإسناد الناقص للمعنى كجملة الصلة والجواب تسمى جملا ولا تسمى كلاما أما الكلام فيشترط فيه

1- المرجع نفسه، ص74.
2- شرح المفصل، ج1، ص20.
3- المرجع نفسه، ص21.
4- المغني، ج2، ص5.
5- المرجع نفسه، ج2، ص5.
6- المرجع نفسه، ص5.
7- المرجع نفسه، ص5.

الإفادة ويظهر على النحو التالي: فالتركيب الإسنادي يسمى جملة والجملة إذا كانت ذات إفادة تتساوى مع الكلام، أما إذا كانت دون إفادة فلا تتساوى معه، ولا تسمى باسمه.

وذهب السيوطي أيضا إلى أن الكلام هو القول المفيد إلا أنه لا يرادف الجملة و هو رأي ابن هشام، لكنه يخالفه في كون الإفادة تحصل بالإسناد، وما يسميه ابن هشام بجملة الصلة والجواب، فهذا عند السيوطي إطلاق مجازي "لأن كلا منهما كان جملة من قبل، فأطلقت الجملة عليه باعتبار ماكان، كإطلاق اليتامى على البالغين نظرا إلى أنهم كانوا كذلك"[1]، وهكذا يذهب السيوطي مذهبا وسطا في اعتبار الجملة لا ترادف الكلام ويشترط فيها الإفادة.

أما المتأخرون وأكثرهم من الشراح فلم يخرجوا عما قيل من قبل معتمدين مذهب ابن هشام باعتباره من شراح الألفية أيضا..

8- أقسام الجملة العربية:

اتفق جل النحويين العرب على أن الجملة العربية قسمان هما: الاسمية والفعلية، وذلك انطلاقا من ركنيها اللذين تقوم عليهما، وهما المسند والمسند إليه، ورغم ذلك اقترح بعض النحويين أقساما أخرى للجملة العربية، وهذه بعض الآراء.

أ- الزمخشري:

قبل الزمخشري كانت الآراء كلها تتفق عل أن الجملة العربية قسمان: فعلية واسمية إلى أن جاء الزمخشري ونادى بتقسيم جديد ليجعل الجملة العربية أربعة أقسام حيث يقول: "الجملة على أربعة أضرب فعلية واسمية وشرطية وظرفية وذلك كقولك:(زيد ذهب أخوه) و(عمرو أبوه منطلق) و(بكر إن تعطه يشكرك) و(خالد في الدار)[2].

وقد ذكر الزمخشري ذلك في معرض حديثه عن الخبر الذي يكون إما مفردا، وإما جملة والجملة الواقعة خبرا إما اسمية، أو فعلية، أو شرطية، أو ظرفية، وهي جمل لها محل من الإعراب وضرب لهذه الجمل أمثلة تدل على الفعلية نحو: زيد ذهب أخوه والاسمية نحو: عمرو أبوه منطلق

---

[1]- التركيب في المثل العربي، ص43.

[2]- التركيب في المثل العربي، ص44.

والجملة الشرطية نحو: بكر إن تعطه يشكرك، فهي المتكونة من أداة الشرط، وفعلي الشرط والجزاء وهما في الأساس جملتان إلا أنه:"لما دخل هاهنا حرف الشرط ربط كل جملة من الشرط والجــزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة[1]".

أما الظرفية فنحو: خالد في الدار، والظرف عنده على ضربين: زمان ومكــان" وحقيقــة الظرف ماكان وعاء، وسمي الزمان والمكان ظروفا لوقوع الحوادث فيهما[2]".

ب- ابن يعيش:

ذكر ابن يعيش أن الجملة ضربان: فعلية واسمية، لأن الشرطية في التحقيق مركبــة مــن جملتين فعليتين (الشرط فعل وفاعل) والجزاء (فعل وفاعل)، والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو (فعل وفاعل)[3]".

"فالواضح عند ابن يعيش أن الشرط مكون من جملتين فعليتين ولا تعــد الأداة ولا فعــلا الشرط والجزاء من التبريرات التي تجعل الجملتين جملة واحدة يطلق عليها الجملة الشرطية وذلــك لأن الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعل"[4]، وها هنا يستقل كل فعل بفاعله فالأحرى أن يكونا جملتين فعليتين.

وأما الظرفية فهي من قبيل الفعلية أيضا فقولك (زيد في الدار) ليس الظرف هنا "بــالخبر عن الحقيقة، لأن الدار ليست من زيد في شيء، وإنما الظرف معمول للخبر ونائب عنه، والتقدير: زيد استقر في الدار، أو حدث، أو وقع، ونحو ذلك، فهده هي الأخبار في الحقيقة بلا خلاف بــين البصريين[5]"، فعلى أساس الفعل المحذوف كانت الجملة فعلية، إلا أن هناك من رأى أن المحــذوف اسم تقديره: مستقر، أو كائن، أو واقع، وهو قول ابن السراج (ت 316هـ)[6].

---

[1]- شرح المفصل، ج1، ص89.

[2]- المرجع نفسه، ص89.

[3]- شرح المفصل، ج1، ص88.

[4]- المرجع نفسه، ص88

[5]- المرجع نفسه،ص89.

[6]- المرجع نفسه، ص90.

جـ- ابن هشام الأنصاري:

أما ابن هشام الأنصاري، فالجملة عنده على ثلاثة أقسام "فالاسمية هي التي صدرها اسم ك: زيد قائم...والفعلية هي التي صدرها فعل ك: قام زيد والظرفية هي المصدرة بظرف أو جار ومجرور نحو: أعندك زيد؟"[1].

وأساس هذا التقسيم كما يبدو جليا هو صدر الجملة الذي هو"المسند والمسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليها من الحروف، فالجملة من نحو: أقائم الزيدان، وأزيد أخوك، ولعل أباك منطلق وما زيد قائما، اسمية، ومن نحو: أقام زيد، وإن قام زيد، وقد قام زيد، وهلا قمت، فعلية[2] وينتبه ابن هشام في مسألة التقسيم أنه يجب النظر إلى أصل الجملة قبل إدراجها في قسمها، فالمعتبر عنده ما هو صدر في الأصل، أي إرجاع الجملة إلى أصلها الأول، فالجملة من نحو: كيف جاء زيد؟ ومن نحو: "فريقا كذبتم وفريقا تقتلون" فعلية لأنها في نية التأخير[3].

ونلاحظ من خلال هذه الآراء أن ابن هشام يضع أمامنا شروطا ثلاثة يرتكز عليها لتقسيم الجملة وهي:

1- التصدير.

2- لا عبرة بما تقدم التصدير من حروف وأدوات.

3- النظر إلى أصل الجملة إذا ما حصل تقديم وتأخير.

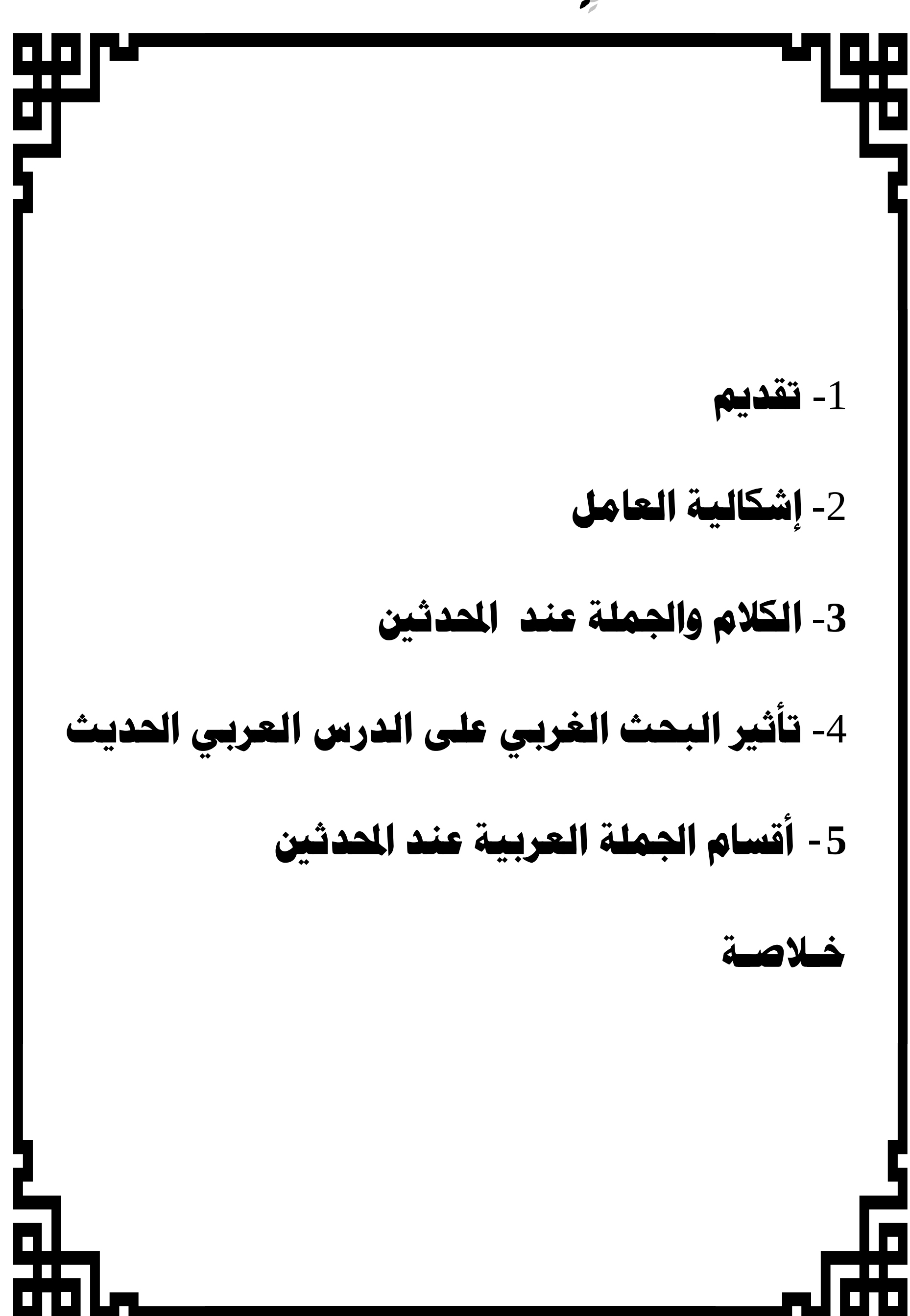
---

[1]- المغني، ج2، ص07.

[2]- المغني، ج2، ص08.

[3]- التركيب في المثل العربي، مرجع سابق، ص45-46.

الفصل الثاني: الجملة العربية عند المحدثين



1- **تقديم**

2- **إشكالية العامل**

3- **الكلام والجملة عند المحدثين**

4- **تأثير البحث الغربي على الدرس العربي الحديث**

5- **أقسام الجملة العربية عند المحدثين**

خلاصة

1- تقديم:

استطاع المحدثون تفادي كثيرا مما وقع فيه القدماء حول الفرق بين مصطلحي الكلام والجملة، فقد استطاعوا أن يتخلصوا من بعض القيود التي ربطت التفكير اللغوي القديم بالتفكير الفلسفي والمنطقي، وقد درس المحدثون اللغة بعيدا كل البعد عن الخلفيات الفلسفية معتمدين على الملاحظة، والاستقراء، والفرضيات. وقد ثار كثير منهم ضد الدرس القديم ومنهجه الذي شبه بالمنهج الفقهي عندما بدأ القول بالوجوب والجواز، وأصبحت القواعد سيدة النصوص[1]، ويرجع المحدثون خلل القدماء في البحث، إلى فكرة العامل[2] التي أبعدت بقوة من الدرس الحديث.

2- إشكالية العامل:

رفض علم اللغة الحديث فكرة العامل لأنه لا يعنى بالتركيب واصفا إياه محددا وظيفته ولأن " التساؤل حول العامل وتخصصه، وتقديره، وما شاكل ذلك، يتجاوز النطاق الذي رسمه علم اللغة الحديث"[3].

ويذهب المخزومي إلى أن العامل كان يمثل عهدا كان يجهل طبيعة الدرس النحوي، ويجهل أن النحو درس لغوي يخضع لاعتبارات لغوية محضة لا مكان بينها لحكم العقل أو ، لمنطق العقل[4].

وإذا كان الدرس القديم انطلق من فكرة العامل، فإن الدرس الحديث:" هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة ويعده وسيلة للتعبير عن معنى، ومن ثم يعتبر المعنى قطبا مهما في دراسة الجملة[5] ويرى بعض النحويين أن الدرس القديم ابتلي بفلسفة ميتافيزيقية ومنطقية ولا

1- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، مرجع سابق، ص2.

2- العامل: هو الكلمة الملفوظة أو المقدرة التي تمتلك القدرة على التأثير في الكلمات التي تقع بعدها من الناحيتين: الشكلية والإعرابية أو هو ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الأعراب، أنظر محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية مؤسسة الرسالة، دار العرفان، عمان، 1983، ص160.

3- محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1970، ص68.

4- مهدي المخزومي: في النحو نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ط1، 1964، ص229.

5- التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص52.

يزال[1]، ولعل السبب في ذلك هو أن النحاة العرب اطلعوا على مقولات كتاب أرسطو فلجأوا إلى التقدير ليكون تفكيرهم متمشيا مع منطق المقولات[2].

ويرى آخرون أن النحاة القدماء في دراستهم للجملة نظـــروا إلى الإســـناد، و لم ينظـــروا إلى غيره، وفكرة الإسناد لها مصطلحاتها عند المناطقة، وقد ذكروا أن الجملة عبارة عن موضـــوع ومحمول، وقد وضح ذلك البلاغيون حين عدوا الجملة ذات ركنين أساسيين" المسند وهو ما يناظر محمول المناطقة، والمسند إليه وهو ما يعادل الموضوع"[3] وهكـــذا أدرك المحـــدثون أن القـــدماء لم يفرقوا بين أمرين هما: المعنى الشكلي والمعنى الفلسفي، ثم جعلوا الثاني أساسا للدراسة، وقد فاتهم أن دراسة اللغة ترتكز على الشكل. وقد تعدى النحاة واقع الجملة وذهبوا يبحثون فيما وراءهـــا أو في العمليات العقلية التي تسبق الصورة اللفظية، فأدى بهم ذلك إلى القول بالتقـــدير والحـــذف والاستتار وغيرها[4] . فدراسة الجملة تكمن في شكلها، وفي التغيرات التي تطـــرأ عليهـــا، ومـــن ثم تحديد وظيفتها[5] ، ودراسة الجملة بالمنهج الحديث:" تعنى بكل ما يطرأ على الجملة من طوارئ وتعنى بأحوال أجزائها الرئيسية وغير الرئيسية[6].

ومن هذا المنطلق الانتقادي للدرس النحوي القديم، انطلق المحدثون في إعادة النظر في النحو العربي وبتأثير من الدرس اللغوي الحديث والمناهج الغربية.

1- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو مصرية، 1955، د/ط، ص19.

2- المرجع نفسه، ص21.

3- إبراهيم أنيس: من أسرار العربية، مكتبة الانجلو مصرية، ط3، 1966، ص259.

4- التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص53.

5- محمود فهمي حجازي: علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، مرجع سابق، ص66.

6- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت، ط، 1964، ص73.

3- الكلام والجملة عند المحدثين:

من خلال نظرة عامة إلى آراء المحدثين، فإنه يمكننا أن نقسم هذه الآراء إلى اتجاهين كبيرين هما:

أ- الاتجاه المحافظ: يرى د.عباس حسن أن الكلام "ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل، مثل: أقبل الضيف... فلا بد للكلام من أمرين معا هما: التركيب والإفادة المستقلة"[1] وهذا رأي لا يختلف عن رأي القدماء، ويقول في تعريفه للكلام: "الكلام (أو الجملة) هو ما تركب من كلمتين..."[2] وهو هنا يسوي بين الجملة والكلام، ويرى الدكتور أمين علي السيد أن الكلام يجب أن يكون مفيدا " فائدة يحسن السكوت عليها من المتكلم...وهذه الفائدة لا تتم إلا بالتركيب الإسنادي، فلا بد من توفر عنصرين ليتحقق الكلام، هما التركيب والإفادة"[3].

فالكلام بهذا المعنى يشترط فيه الإفادة، أي تأدية المعنى والتركيب الإسنادي، وعن هذا التركيب يقول الدكتور عباس حسن: "وليس من اللازم في التركيب المفيد أن تكون الكلمتان ظاهرتين في النطق، بل يكفي أن تكون إحداهما ظاهرة والأخرى مستترة، كان نقول للضيف: تفضل. فهذا كلام مركب من كلمتين إحداهما ظاهرة وهي تفضل، والأخرى مستترة وهي أنت"[4] وهو رأي قديم يعتمد أساسا على إفادة المنطوق.

ويقترب من هذا ما أشار إليه ريمون طحان من أن الكلام: "ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، ولا يكون الكلام تاما والجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة، منها ما تعود إلى المنطق، ومنها ما تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها"[5] . ورغم أن هذا التعريف يرتكز على التركيب والإفادة، إلا أنه يقترب من فلسفة القدماء بوضع الشروط، إضافة إلى إشاراته الضمنية بترادف الجملة والكلام الذي " يخضع إلى تنظيمات معينة منها الفونولوجي

1- د. عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، د / ت، ص16.

2- المرجع نفسه، ص16.

3- د. أمين علي السيد: في علم النحو، دار المعارف، مصر، ط3، 1975، ص21.

4- د. عباس حسن: النحو الوافي، مرجع سابق، ص16.

5- ريمون طحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1972، ص44.

الذي يوزع الأصوات بحيث لا يتعارض فيه صوت، مع صوت وله تنظيمه المعجمي والصرفي والنحوي والجملي"[1].

ب- الاتجاه الحديث: يرى الدكتور تمام حسان أن الكلام عبارة عن "حركات عضوية مصحوبة بظواهر صوتية"[2] ويطلق مصطلح (المجموعة الكلامية) على كل " مجموعة من الكلمات أيا كان عددها مادامت تقع بين سكتتين وتستغرق مرّة واحدة من مرات التنفس...سواء كانت جملة مفيدة أو جزءا من جملة، أو كانت كلمة واحدة"[3] ويعتمد تمام حسان هنا على نية المتكلم في تحديد الكلام بالحركات العضوية وتحديد مجموعاته بالسكتتين.

ثم يقابل تمام حسان الكلام باللغة في تعريف طويل يقول فيه: "...الكلام عمل، واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك، واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط، واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يحس بالسمع نطقا، والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام. فالذي نقوله ونكتبه كلام، والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة؛ فالكلام هو المنطوق، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد، وفقه اللغة، والمعجم ونحوها، فالكلام يحدث أن يكون عملا فرديا، ولكن اللغة لا تكون إلا جماعية"[4] فالكلام عنده إذن عبارة عن سلوك ونشاط وحركة وشيء محسوس بالسمع نطقا والبصر كتابة، وهو العمل الفردي لا الجماعي فهو هنا يربط الكلام بالإنسان كجزء من نشاطه دون فصله عن المجتمع وكأنه قال بصورة أخرى إن الكلام هو تطبيق اللغة المنظرة من طرف المجتمع، وهذه الفكرة عموما نجدها في الدراسات الغربية، وبالضبط في الدراسات الاجتماعية التي تزعمها دوركايم والذي تأثر به بصورة مباشرة اللغوي فردينان دوسوسير[5].

واللافت للانتباه في مسألة الكلام عند بعض المحدثين، هو اعتبارهم أن التقسيم الثلاثي غير شامل لكلام العرب الذين " قسموا الكلمات على أسس لم يذكروها لنا، وإنما جاءونا بنتيجة هذا

1- ريمون طحان: الألسنية العربية، مرجع سابق، ص37.

2- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص196.

3- المرجع نفسه، ص57.

4- د. تمام حسان، العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1979، ص87.

5- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابقن ص55.

التقسيم إلى اسم وفعل وحرف"[1] . وسنذكر فيما يلي ثلاثة آراء فقط في مسألة التقسيم تجنبا للإخلال بالموضوع وهي:

1- تقسيم الدكتور ابراهيم أنيس من خلال كتابه: من أسرار العربية حيث ذكر أربعة أقسام هي: (اسم، ضمير، فعل، أداة) حيث أضاف الضمير.

2- تقسيم الدكتور مهدي المخزومي من خلال كتابه: في النحو العربي نقد وتوجيه حيث جاء التقسيم عنده على النحو (اسم، فعل، أداة، كناية) حيث أضاف الكناية.

3- **تقسيم الدكتور تمام حسان من خلال كتابه:** العربية معناها ومبناها، حيث جاء تقسيمه على النحو: (اسم، فعل، صفة، ضمير، خالفة، ظرف، أداة) حيث أضاف الصفة والضمير والخالفة والظرف، وهؤلاء الثلاثة يشتركون في الاسم، والفعل، والأداة، وأضافوا- كل ومبرراته- الضمير، والكناية، والصفة، والخالفة والظرف، وهي إضافات لا يتفق على بعضها أكثر من اثنين منها. ولو تمعنا هذه الزيادات لوجدنا أنها لا تخرج عن التقسيم الأساسي الذي وضعه القدماء. أما الجملة فلم يستطع الدرس الحديث أن يضع يده على حقيقتها، لأن الاختلاف لا يزال قائما بين الدارسين بالرغم من تطور المناهج والأبحاث، والجملة في أحد التعريفات هي "الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"[1].

1- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص196.

والجملة على هذا الأساس هي ما تتميز بثلاث خصائص وهي:

أ- أنها صورة لفظية صغرى للكلام المفيد.

ب- وأنها مركبة.

جـــ- و أنها وسيلة لنقل الصورة الذهنية من المتكلم إلى السامع.

ومثل ذلك قال ريمون طحان بأنها صورة لفظية صغرى أو "الوحدة الكتابية الدنيا للقـــول أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهي تبين أن صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها حسب قواعد معينة وأساليب شائعة إلى ذهن السامع"[(2)].

ويقترب من التعريفين السابقين الدكتور إبراهيم أنيس من أن الجملة: "في أقصر صـــورها هي أقل قدرا من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[(3)].

ويرى الدكتور عبده الراجحي أنها: "الكلام الذي يتركب من كلمتين أو أكثر وله معـــنى مفيد مستقل"[(4)] وهو رأي الدكتور عباس حسن من أنها: "ما تركب من جزأين أساسيين يؤديان معنى مفيدا، فهي عبارة عن كلمتين أساسيتين لا بد منهما للحصول على المعنى، كالفعل مع فاعله والمبتدأ مع خبره"[(5)].

ويظهر جليا أن ليس هناك اختلاف كبير عما قاله القدماء من كون الجملة مركبا إســـناديا ويمكن أن تكون كلمة أو أكثر، ويشترك كل المحدثين في عنصر الإفادة التي: جعلها تمام حـــسان أصلا من أصول الجملة العربية بل ويجعل الإفادة هي أصل الأصول، ويرى تمام حسان أن أصـــول

---

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابقن ص31.

2- ريمون طحان: الألسنية العربية، مرجع سابق، ص44.

3- ابراهيم أنيس: من أسرار العربية، مرجع سابق، ص44.

4- عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979، ص77.

5- عباس حسن: النحو الوافي، مرجع سابق، ص466.

الجملة العربية لا يمكن العدول عنها ولا يقبل هذا العدول مهما كان، وإذا وقع فلأسباب وبوسائل[1]، وأهم الأصول التي ذكرها هي[2]:

1- الأصل الذكر، فإذا عدل عنه إلى الحذف وجب تقدير المحذوف من ركني الجملة.

2- الأصل الإظهار، فإذا أضمر أحد الركنين وجب تفسيره.

3- الأصل الوصل، وقد يعدل عنه إلى الفصل.

4- الأصل الرتب بين عناصر الجملة، وقد يعدل عنها إلى التقديم والتأخير.

5- الأصل الإفادة فإذا لم تتحقق الفائدة فلا جملة، وتتحقق الإفادة بالقرائن حين يؤمن اللبس.

4- **تأثير البحث الغربي على الدرس العربي الحديث:**

من دون شك أن البحث اللغوي الغربي الحديث بمختلف مدارسه ومناهجه (كالوظيفية والتوليدية والتوزيعية) أثر على الدرس العربي الحديث، بل وقد تناول بعضهم الجملة تناولا لا يبتعد عن المنهج الغربي بتطبيقه حرفيا مثل ما فعل الدكتور جوزيف ميشال شريم[3] وريمون طحان[4] الذي يذهب إلى أن الجملة " تخضع لقواعد أصولية، ولتنظيم مخالف ويستطيع المتكلم في كل لحظة أن ينطق- بإتباعه قواعد معينة- جملا صحيحة، أو أن يفهم يالعودة إلى تلك القواعد جملا أصولية يسمعها أو يقرؤها لأول مرة، ولذا يحق لنا أن نضع ثبوت القواعد العامة التي تراعى في صوغ الجملة، وأن نضيف العناصر الجميلة التي تتداخل وتتضافر، ليتولد- انطلاقا من تنظيم محدود- عدد غير متناه من الجمل"[5] ويبدو جليا من خلال هذا النص أن ريمون طحان يعتمد على فكرة

1- تمام حسان: الأصول دراسة استمولوجية، للفكر اللغوي عند العرب، (نحو، فقه، لغة، بلاغة)، مكتبة الأنجلو مصرية، 1958 ص154.

2- المرجع نفسه، ص130.

3- جوزيف ميشال شريم: دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984 ص39.

4- ريمون طحان: الألسنية العربية، مرجع سابق، ص54.

5- المرجع نفسه، ص47.

أصولية الجملة والقواعد الكلية أو العامة وتوليد العدد غير المتناهي من الجمل وهي أفكار لصاحب النظرية التحويلية التوليدية نوام تشومسكي[1].

ويضيف ريمون طحان أن الجملة يشترك في تنظيمها عدة مستويات، الـــصوت، والمعجـــم والصرف، والنحو، والتركيب، وهي مستويات متداخلة "بواسطة عناصر صوتية وتشكيلية تخضع لقواعد معينة"[2]، وهي المستويات نفسها التي يعتمدها المنهج البنيوي في دراسته للجملة.

"والحق أن تطبيق المناهج الغربية على الجملة العربية لا يعد عيبا، بل يجب الانتفـــاع بمـــا وصلت إليه هذه المناهج، لكن يجب أن لا يغيب عنا أن العربية لها طبيعتها وخصائصها، وتختلف تماما عن طبيعة اللغات الهندوأوربية[3] وقد بلغ الدرس اللغوي الغربي شأنا عظيما في أبحاثه وهـــذه أهم أفكار أبرز علمائه اللغويين.

أ- فردينون دي سوسير:

نظر دي سوسير إلى الكلام واللغة نظرة دقيقة، ووجد أن الأمر في غاية التعقيد والتشابك انطلاقا من الثنائيات التي وجدها في كل مسألة لسانية "فللكلام جانـــب شخـــصي، وجانـــب اجتماعي ولا يمكن تصور الواحد دون الآخر"[4]، وهذه الثنائية لا ريب أنها ناتجة عن دراســـات أخرى نفسية كانت أو اجتماعية، فالمسألة إذن ليست خاصة بالألسنية وحدها لأن: "موضـــوع الألسنية بتمامه وكماله لا يتجلى لنا في جانب من هذه الجوانب، نحن نصطدم أنى اتجهنـــا بهـــذه المعضلة، إما أننا نوقف اهتمامنا على جانب واحد من كل مسألة فيكون في ذلـــك خطـــر أن لا تدرك الثنائيات... أو أننا ندرس الكلام من زوايا متعددة في آن واحد فيلوح لنا موضوع الألسنية ركاما مبهما من أشياء متباينة لا يمت بعضها إلى بعض بصلة"[5]، ثم يوضح دي سوسير أن الدارس

1- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابقن ص58.

2- ريمون طحان، الألسنية العربية، ص50.

3- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابقن ص59.

4- فردينون دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القردمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ص28.

5- فردينون دوسوسير، دروس في الألسنية العامة،مرجع سابق، ص29.

للكلام من زوايا متعددة "يفتح الباب على مـــصراعيه أمـــام علـــوم متعـــددة كعلـــم الـــنفس والأنثروبولوجيا، والنحو التقعيدي، والفيلولوجيا.[1]

وهو يرى أن دراسة الكلام انطلاقا من كلام الطفل بمنهج علماء النفس رأي خاطئ كـــل الخطأ، وذلك لأنه يدفع إلى الاعتقاد "أن قضية بداية الكلام تختلف عن قضية أوضاعه الدائمة، إذن نحن لا نخرج عند ذلك من الحلقة المفرغة[2].

واللغة عند دي سوسير هي: "نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة مـــن المواصـــفات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة"[3]، ويرى أن الكلام له أشـــكال متعددة فيزيائي وفيزيولوجي ونفسي، وهو فردي واجتماعي في الوقت نفسه.

واللغة عنده أكثر أهمية من الكلام، وخصائصها قابلة لأن تصنف ضمن الظواهر البـــشرية وهذه الآراء أقل ما يقال عنها أنها تدعو إلى دراسة اللغة أو الكلام غـــير بعيـــد عـــن المظهـــر الاجتماعي أو النفسي المحيط بها[4]

ب- نوام تشومسكي:

يعد نوام تشومسكي اللغة "كناية عن مجموعة متناهية، أو غير متناهية من الجمل، كل جملة منها طولها محدود، مكونة من مجموعة متناهية من العناصر"[5]، فهو ينظر إلى اللغة كونها مؤلفة من جمل تمكن حتى الطفل أن يكتسبها ويركب جملا مؤلفة من كلمتين متتـــابعتين، أو مـــن ثـــلاث كلمات في غضون السنة الثانية من عمره، لأن الطفل يكتسب بنى اللغـــة بمجملـــها والمتمثلـــة في الجمل، والكلام الذي يسمعه الطفل في محيطه عبارة عن "مدونة كلامية تمثل لغة البيئـــة الـــتي يترعرع فيها، وهذه المدونة عبارة عن عينة تندرج فيها الجمل التي ينطق بها أفـــراد هـــذه البيئـــة

1- المرجع نفسه، ص29.

2- المرجع نفسه، ص28

3- فردينون دوسوسير، دروس في ال ألسنية العامة، مرجع سابق، ص29.

4- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابقن ص60.

5- ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د/ط، 1983، ص21.

(فالمدونة) تتكون من مجموعة الجمل التي يسمعها الطفل، وهي ليست بالمقابل جمـــلا مـــصححة بليغة"[1].

كما يركز تشومسكي على القواعد الكلية التي تتيح توليد عدد غير متناه من الجمل يفهمها المتكلم أو السامع لأول مرة يسمعها وهذه القواعد تشترك فيها جميع اللغات، والتي تعنى بدراسة مبادئ اللغة العامة، وتقابلها القواعد الخاصة التي تدرس فقط الشكل الخارجي للغـــة، والباحـــث الألسني يحاول الوصول إلى هذه القواعد (القواعد النواة) وعلاقتها بالقواعد الخاصة[2]، ويـــسمى تشومسكي الجملة الصحيحة بالجملة الأصولية، وهي التي تكون "مركبة على نحو جيد، وهي غير أصولية إذا انحرفت عن المبادئ التي تحدد الأصولية في هذه اللغة، أي القواعد الضمنية التي تقـــود عملية الكلام، والذي يطبقها متكلم اللغة بصورة لاشعورية"[3].

كما أن الجملة الأصولية يجب أن لا تنحرف عن المستوى الصوتي والتركيبي والـــدلالي[4] وقد رأينا آنفا مدى تأثر ريمون طحان بهذه الطروحات.

ومن أهم أفكار تشومسكي في قضية الجملة إدراكه أن الجملة لها بنيتان: بنية عميقة وبنية سطحية، والفرق بين البنيتين هو أن الأولى"هي البنية المجردة والضمنية التي تعين التفسير الـــدلالي والثانية هي ترتيب الوحدات السطحي الذي يحدد التفسير الفونيتيكي، والذي يـــرد إلى شـــكل الكلام الفعلي الفيزيائي، وإلى شكله المقصود والمدرك[5] ويؤكد تشومسكي أن طابع البنية العميقة أكثر تجريدا وهي أساسية لفهم الكلام، وإعطائه التفسير الدلالي، وهي تتمثل في ذهن المـــتكلم – المستمع- كما أنها حقيقة عقلية قائمة يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكون البنية السطحية والبنية العميقة تحدد التفسير الدلالي للجملة، بينما تحدد البنية السطحية التفسير الصوتي لها"[6].

1- ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية،المرجع السابق، ص57.

2- المرجع نفسه، ص88-89.

3- المرجع نفسه، ص108.

4- د.ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية، مرجع سابق، ص108.

5- المرجع نفسه، ص163.

6- د.ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية، مرجع سابق، ص164.

ولعل قضية التوليد والتحويل تعد من أبرز أفكار تشومسكي حول الجملة، وقد جعل لها قواعد تتيح توليد عدد غير متناه من جمل اللغة ولهذه القواعد ثلاثة مكونات: فونولوجي، ودلالي وتركيبي. أما قواعد التحويل فهي مشير ركني بمشير آخر، وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل المحولة، وقواعد التوليد، فتعمل على تخريج الجمل وتوليدها بطريقة رياضية مع استبدال المفردات المعجمية، فتتولد صور وأنماط عديدة للجملة الواحدة، وقد لاقت هذه الأفكار رواجا كبيرا لدى الدارسين، وأصبحت ميدان تطبيق في كثير من الدراسات اللغوية وفي جميع اللغات.

ج- برجستراسر:

وهو من الدارسين للغة العربية حيث حاول- إلى حد ما- أن يتطرق إلى الفرق بين الكلام والجملة، فرأى أن أكثر الكلام عنده جمل، والجملة مركبة من مسند ومسند إليه، أي أن الجملة تشترط التركيب الذي يجعلها إما فعلية أو اسمية[1].

ويذهب إلى أنه من الكلام ما ليس بجملة، بل هو كلمات مفردة أو تركيبات وصفية أو إضافية، أو عطفية، غير إسنادي، مثل ذلك النداء. فإن(يا حسن) ليس جملة ولا قسما من جملة وهو مع ذلك كلام[2]. فعنده أن كل جملة كلام، وليس كل كلام جملة. لكنه يطلق على النداء مصطلح شبه الجملة إذ يقول: "والنداء وأمثاله نسميها أشباه جمل"[3] وذلك لأن هذا الكلام يشبه الجملة في أنه مستقل بنفسه ولا يحتاج إلى غيره مظهرا كان أو مقدرا[4] ولكنه لا يقصد شبه الجملة هنا ما نعرفه نحن في النحو العربي من الظرف والجار والمجرور، إنما يقصد إلى ما هو نائب عن الجملة، أو ما يسد مسدها، ويمكن أن نسميها كذلك بالجملة ذات الطرف الواحد[5]. ويوضح برجستراسر أن شبه الجملة اسم في أكثر الحالات، ولا يمكن أن يكون فعلا، لأن الفعل

1- نوار عبيدي: التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص62.

2- المرجع نفسه، ص62

3- برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعين، الرياض، د/ط، 1982، ص125.

4- المرجع نفسه، ص125.

5- نوار عبيدي: التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص62.

يساوي الجملة، فأكثر أشكاله مركب من ضمير هو المسند إليه، ومن مادة الفعل وهو المســند"[1]

ونستخلص من كل ذلك أن براجستراسر يجعل التركيب شرطا للجملة، وأن أكثر الكلام جمــل أي أن من الكلام ما ليس جملة وهو الذي سماه شبه الجملة مثل النداء،والجملة كلام مستقل بنفسه لا يحتاج لغيره ظاهرا كان أو مقدرا"[2].

5- أقسام الجملة العربية عند المحدثين:

يمكن إجمالا أن نقسم اتجاهات المحدثين في تقسيم الجملة العربية إلى أربعة أنواع:

أ- الاتجاه الأول: وهو اتجاه يجاري القدماء في مسألة التقسيم ويمثل هذا الاتجاه الــدكتور عبده الراجحي، والدكتور عباس حسن، والدكتور مبارك مبارك، فالراجحي يــرى أن" الجملــة العربية نوعان لا ثالث لها: جملة اسمية وجملة فعلية...إذا كانت الجملة مبدوءة بفعل غير ناقص فهي جملة فعلية"[3] وهو هنا يركز على صدر الجملة كما ذكر ابن هشام بلا اعتبار للتقديم والتأخير.

والجملة عند عباس حسن هي: "كلمتان أساسيتان لا بد منهما للحصول على معنى مفيــد كالفعل مع فاعله، أو مع نائب فاعله، مثل: فرح الفائز، وأكرم النابغ، وتسمى هذه الجملة فعليــة لأنها مبدوءة أصالة بفعل، وكالمبتدأ مع خبره، أو ما يغني عن الخبر في مثل: المال فاتن...وتــسمى هذه الجملة اسمية لأنها مبدوءة أصالة باسم، فالجملة إما إسمية وإما فعلية"[4].

وكلا الرأيين يعتمد على الفكرة نفسها، وهي البحث عن أصل الجملة، وأنها قــسمان لا ثالث لهما.

ب- الاتجاه الثاني: وهو يخالف القدماء في مسائل عدة، ويمثله خاصة الدكتور تمام حسان والدكتور مهدي المخزومي وغيرهما، ووجه الاختلاف هنا لا يمس التقسيم في حد ذاته إذ يقــرون بوجود الجملة الاسمية والفعلية[5]، ولكن يختلفون عن القدماء في أسس التقسيم، بــل في منــهج

1- برجستراسر: التطور النحوي للغة العربية، مرجع سابق، ص126.

2- نوار عبيدي: التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص62.

3- عبه الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة، بيروت، لبنان، 1979، ص77.

4-د. عباس حسن، النحو الوافي، مرجع سابق، ص466.

5- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد توجيه، مرجع سابق، ص39.

الدرس اللغوي بكامله، وقد بينا سالفا كيف ثار بعضهم ضد القدماء، وعدوا دراستهم أقرب إلى الفلسفة منها إلى النحو.

ويشير تمام حسان إلى أن الفكرة النظرية لدى القدماء كانت صائبة في دراسة النحو لكن التطبيق هو الذي أبعدهم عن الصواب خاصة في مجال المعنى وحين قال النحاة قديما إن الإعراب فرع للمعنى كانوا في منتهى الصواب في القاعدة، وفي منتهى الخطأ في التطبيق، لأنهم طبقوا كلمة المعنى تطبيقا معيبا حيث صرفوها إلى المعنى المعجمي حينا، والدلالي حينا آخر، ولم يصرفوها إلى المعنى الوظيفي"[1].

أي أن القدماء لم يحسنوا استغلال نظرياتهم التي يشترك فيها المناطقة وأهل البلاغة، خاصة ما تعلق بالمعنى، ولم يركزوا على الوظيفة التي يمكنها أن توصلهم إلى نتائج مهمة في البحث اللغوي لأن المعنى في حقيقته هو محور الجملة العربية، وليس النحو إلاّ دراسة للأبواب العامة لمعاني الجمل[2]، إلا أن القدماء أطنبوا في التفسيرات العقلية، والتأويلات، والتقديرات، والبحث عن العامل في حين أن البحث عن المعنى الوظيفي كان كافيا لتحديد هدف النحو.

وقبل أن نصل إلى الاتجاه الثالث يجب أن نشير إلى الخلاف الموجود بين مسألتي الاسمية والفعلية عند المحدثين. فالاسمية عند بعضهم هي التي "لا تشتمل على معنى الزمن، فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند ولا تشير إلى حدث ولا إلى زمن[3] أي أنها لا تدل إلا على الثبوت وعدم التغيير هذا إذا كان خبرها جامدا أو جملة اسمية مثل: زيد غلامك، وزيد أخوه مريض، فالجملة الاسمية هي "التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت، أو يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد، أو بعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند إسما"[4].

1- د.تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مرجع سابق، ص193.

2- المرجع نفسه، ص195.

3- تمام حسان، العربية معناها ومبناها، مرجع سابق، ص193.

4- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص42.

فالجملة الإسمية إذن هي التي تخلو من الفعل الذي يحرك الجملة عن ثبوتها وهي بتعبير آخر ما خلت من الفعل[1] وهذا يعني أن الجملة إذا حوت فعلا سواء تقدم أو تأخر فهي فعليـــة[2] أي التي يدل فيها المسند على التجدد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا، وبعبـــارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا، لأن الدلالة في التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها[3].

يقول المخزومي: "...إن كلا من قولنا (طلع البدر، والبدر طلع) جملة فعلية، أما الجملـــة الأولى فالأمر فيها واضح، وليس لنا فيه أي خلاف مع القدماء، والثانية فعلية في نظرنا، لأنـــه لم يطرأ عليها جديد إلا تقديم المسند إليه، وتقديم المسند إليه لا يغير من طبيعة الجملة، لأنه إنما قـــدم للاهتمام به[4] وعندما نقول (جاء محمد) فهي جملة فعلية، وإذا قلنا (محمد جاء). يقول السامرائي "لم يتبدل شيء في حقيقة الإسناد، فطرفا الإسناد هما كما كانا في الجملة الأولى، وهي بهذا جملـــة فعلية أيضا...والمسند إليه هو الفاعل في كلتا الجملتين[5]، أي أن(البدر) في جملة (البدر طلع) فاعل كما أنه (فاعل) في جملة (طلع البدر) لأنه المسند إليه نفسه.

"ونحن نرى أن تقسيم القدماء ينطلق من خصوصيات موضوعية للجملة العربية التي ترتكز على محور الإبلاغ، فالقدماء حين قالوا إن جملة (جاء زيد) و (زيد جاء) جملتان مختلفتان فذلك على أساس محور الإبلاغ الذي تقوم عليه الجملتان، وحين ركزوا على صدارة الجملة، إنما فعلـــوا ذلك بسبب محور الإبلاغ الذي يقصده المتكلم، ومنه جاء التقسيم بالرغم من أن المسند والمـــسند إليه نفسهما في الجملتين. فأنت حين تقول (طلع البدر) إنما تريد أ ن تخبر عن طلوع البـــدر لا على إختفائه أو زواله، وإذا قلت (البدر طلع) فإنما تخبر أن البدر هو الذي طلع لا غيره[6] وعلـــى

1- المنصف عاشور، التركيب عند ابن المقفع، د. م. ج، الجزائر، 1984، ص23.

2- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص41.

3- المرجع نفسه، ص42.

4- المرجع نفسه، ص41.

5- إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقاربة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص54.

6- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص65.

هذا الأساس فإن (البدر) في جملة (البدر طلع) مبتدأ وليس فاعلا لاحتلاله لصدارة الـتي تعـني الابتداء.

ونشير هنا على سبيل المقارنة على أن اللغات الهندو أوربية تكاد تخلوا من الجمل الاسمية[1] وكل جملها فعلية لاعتمادها على فعل الإسناد حيث نجد مثلا أن فعل الإسناد في الفرنسية هو(est) وفي الإنجليزية (is) والألمانية هو (ist) والفارسية هو (است)[2] هذا الفعل الذي يجعلها فعليـة وإن ابتدأت بالاسم (sujet) ولعل هذه النظرة تفسر رأي برجستراسر في كون العرب فرقوا بين الجملة الفعلية والاسمية" تفريقا أشد من الحقيقة حتى أنهم عبروا عن المسند إليه في الجملة الاسميـة بعبـارة واحدة هي المبتدأ، وعبروا عنه في الجملة الفعلية بعبارة أخرى وهي الفاعل، مع أن الفـرق بـين الجنسين في المسند فقط"[3].

ويقول عن الجملة إنها: "مركبة من مسند ومسند إليه، فإن كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية[4] وهذا هو الرأي الذي يوافقـه بعض المحدثين العرب المتأثرين دون شك بالبحث الغربي الذي يعد الجملة الفعلية هي التي ورد فيها فعل، سواء تقدم أو تأخر، لكن اللغات السامية تختلف عن اللغات الأخرى لاعتمادها بكثرة على الجمل الإسمية والتي حافظت عليها في حيز واسع"[5].

بخلاف هنري فلاش الذي أدرك أن للعربية نظاما واجب الاحترام[6] وذكر نظامها العـام المتمثل في الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

وذكر فلاش أن الخروج عن هذا النظام يكون لسببين: أسلوبي ونحوي،"أمـا الأسـلوبي فكإبراز كلمة في رأس جملة، وأن يقصد وجها خاصا من البيان، وأما النحوي فلأن وضع كلمات

1- برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، قرار رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعين، الرياض، د/ط، 1982 ص135.

2- أنظر الهامش في التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص66.

3- برجستراسر، التطور النحوي، مرجع سابق، ص132.

4- المرجع نفسه، ص125.

5- إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، مرجع سابق، ص55.

6- هنري فلاش، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، د/ت.

معينة في رأس الجملة - أو حتى وضع بعض الأدوات- سينتبع مقدما تقييد الأعضاء الأخرى في الجملة[1] وهذا كلام يبدوا أنه يوافق المنطق اللغوي العربي.

أما الظرفية فيرى المخزومي أن" لا حاجة لنا إلى تكثير الأقسام"[2] ويجوز فيها الوجهان (اسمية أو فعلية)، وفي هذا الإطار نفسه، هناك مسألة أخرى تخص التقسيم، والمتعلقة بالنداء هل هو جملة أم أسلوب؟ وذلك في قولك: يا عبد الله. وعند القدماء فإن نصب المنادى هنا وقع لفعل محذوف تقديره، أدعو أو أريد وصار (يا) بدلا من اللفظ بالفعل[3]، ومن هنا فالقدماء يعدون هذه الجملة فعلية[4]، أما المحدثون فلم يستقم لهم رأي في تصنيف هذه الجملة، فمنهم من رأى أنها " أسلوب خاص يؤدي وظيفته بمركب لفظي خاص، وله دلالة خاصة يحس بها المتكلم والسامع ولن يؤدى هذا الأسلوب بغير هذا اللفظ ولا بالاستعانة بغير أدوات النداء،[5]، ورأى المخزومي أن النداء بأسلوب خاص و"مركب لفظي لا يرتفع إلى مترلة الجملة، ولا يصح تسميته بالجملة أيضا[6].

أما د.عبد الرحمان أيوب فيرى أن النداء ليس من الجملة الفعلية ولا اسمية، لأن هاتين الجملتين إنما تبنيان على الإسناد، فهما جملتان اسناديتان، أما مثل (يا عبد الله) فمن الجمل غير الاسنادية[7] وسماها برجستراسر بشبه الجملة كما ذكرنا سالفا، أما ريمون طحان فلا يعدها جملة بتاتا[8].

وربما منع الباحثين من تصنيف هذه الجملة في قسم الفعلية تباين النداء بين أسلوبي الإنشاء والخبر، فقولنا: يا عبد الله، أسلوب طلبي إنشائي، أما قولنا: أدعو عبد الله، فأسلوب خبري، وهذا

1- المرجع نفسه، ص183.

2- د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص51.

3- الكتاب، ج1، ص292.

4- المغني، ج2، ص8.

5- د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص53.

6- المرجع نفسه، ص53.

7- د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص53.

8- ريمون طحان، الألسنية العربية، مرجع سابق، ص83.

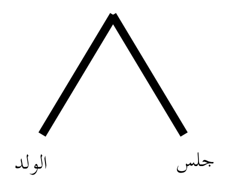
التباين صحيح إلا انه لا يمنع من إدراج الجملة في قسم الفعلية بتقدير فعل محـــذوف لأن مـــسألة الأسلوب من مهام البلاغيين قبل النحويين[1].

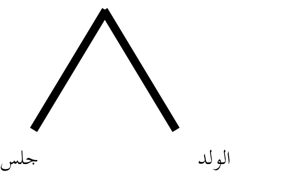
وقد أشار بعض الباحثين إلى أن النداء "ليس بإخبار ولا خلاف في إنشائيته، ولا هو جملة غير إسنادية، ولا شبه جملة كما ذكر المحدثون إنما هو تركيب ندائي (طلبي) يقـــصد بـــه تنبيـــه المخاطب، أو المتلقي عموما لإبلاغه أمرا ما، وهذا المضمون الإبلاغي المراد توصيله إلى المنادى هو المقصود من تركيب النداء ونصطلح عليه (بالمنادى به) أو (جواب النداء)...

ومن هذا المنطلق تتكون الجملة الندائية من أربعة عناصر: المنادي، المنـــادى، أداة النـــداء جواب النداء[2].

ج- الاتجاه الثالث: وهو اتجاه يخالف الأولين ويمثله ريمون طحان الذي يرى أن للجملـــة أركانا ثلاثة وهي المسند والمسند إليه والإسناد، والفعل عنده "هو أساس التعبير، وهو مـــن أهـــم مقومات الجملة، ومن الأركان الرئيسية في تأليف الكلام. ويتصدر الفعل الجملة بعمليتي المـــسند والإسناد الضمنية، وهو من القوة بحيث يعمل متقدما أو متأخرا[3]، ومن هذه الأسس يرى عـــدم فائدة تقسيم الجملة إلى فعلية أو اسمية باعتبار أن الجملة عملية إسنادية، وذلك لأن اللغة العربية لا ترى "في تقديم المسند إليه على المسند محذورا وخاصة إذا حقق تقديمه غرضا اقتضاه القول وتطلبته ملابسات الكلام"[4].

فالجملة عنده سواء ابتدأت باسم أو بفعل فهي إسنادية ولا فرق بين جلس الولد والولـــد جلس ولذا ترسمان في المخطط المشجر على شكل واحد.





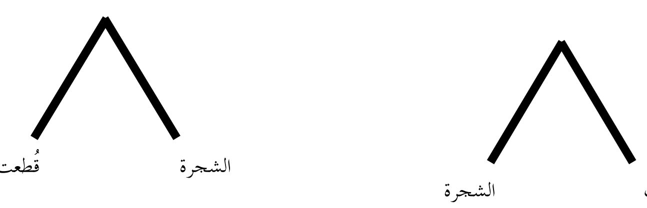
1- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص67-68.

2- محمد خان، الجملة الفعلية ودلالتها في سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، الجزائر، 1985.

3- ريمون طحان، الألسنية العربية، مرجع سابق، ص54.

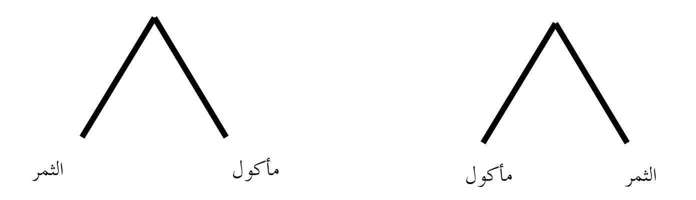
4- ريمون طحان، الألسنية العربية، مرجع سابق، ص54-55.

ومثال ذلك في المبني للمجهول



وتبقى الجملة إسنادية سواء تقدم المسند على المسند إليه، وسواء ظهر المسند صريحا أو اختفى، أو قام مقامه الاسم المفرد أو الجار والمجرور أو الظرف[1] ويذكر ريمون طحان أن المساواة التي أحدثها بين رتبة الفاعل المتقدم على فعله، وبين المتأخر عنه، وبين الفاعل وبين نائبه مبنية على أساس ينطلق من طبيعة التركيب اللغوي التي جعلها أساس التسوية بين جملتين مختلفتين[2].

وذلك لان التركيب اللغوي لجملتين فيهما تقديم وتأخير، لا يعني التسوية بينهما بحجة اشتراكهما في العملية الإسنادية، ولو تجاوزنا وقلنا أن هذه التسوية صحيحة وقبلنا عملية التشجير التي تتيح التسوية في مثل هذا الشكل:



فإن كان يصلح هذا على الجمل البسيطة، فإنه لا يصلح على الجمل المركبة، أو الجمل التي تحتاج إلى التقدير كالنداء مثلا، لأن ريمون طحان لا يعد أن التركيب (نحن العرب أقرى الناس للضيف) يتألف من عمليتين اسناديتين، ولا أن (يا عبد الله قُم إلى عملك) يتألف من جملتين[3]

1- المرجع نفسه، ص58.

2- المرجع نفسه، ص55-56

3- ريمون طحان: الألسنية العربية، مرجع سابق، ص83.

وذلك لأنه لا يستطيع أن يشجر هذين التركيبين اللذين يحتويان على فعلين محـــذوفين (أخـــص) في الأول و(ادعوا) في الثانية.

إن فكرة (العملية الإسنادية) ليست جديدة في الدرس العربي، وقد كان مصطلح الإســـناد من أهم المصطلحات في الدراسات القديمة، إذ يعد أحد أركان الجملة الأساسية فهـــو "تركيـــب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يحصل موقع الخبر وتمـــام الفائدة[1] أي انه عملية ذهنية تربط المسند بالمسند إليه[2] وهكذا يظهر لنا أن إطـــلاق مـــصطلح الجملة الإسنادية أو غير الإسنادية بدلا من الاستعمالات والتسميات الواضحة لا يضيف جديـــدا مفيدا للدرس اللغوي العربي[3].

د- الاتجاه الرابع: هناك رأي آخر في مسألة التقسيم الحديث للجملة، يمكـــن أن نجعلـــه اتجاها منفردا، وهو اتجاه لا يعتمد على أجزاء الجملة ذاتها، لكنه يعتمد على الصوت، وهو تقسيم يخص الجمل المنطوقة، ويمس هذا التقسيم الجمل الاستفهامية، والتعجبية، وحتى الخبرية، ذلـــك أن القدماء فرقوا بين الجمل المثبتة فقط، والحقوا الاستفهامية بها على أساس عدم تأثير الأداة، في حين أن أهم أساس للتفريق هو التنغيم أو التكوين الموسيقي الذي يعد جزءا لا يتجزأ من النطق نفسه[4] وهذا رأي الدكتور كمال بشر.

فطريقة الأداء الكلامي إذن لها دور كبير في تحديد المعنى، وما ذلك إلا لارتبـــاط النطـــق بالكلام ارتباطا وثيقا، ولذا فإن علم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا جزء لا يتجزأ من النحـــو بمعناه الواسع[5]، وهناك بعض الجمل تحتوي على الاستفهام ولكن لا تدل عليه كقوله تعالى: ﴿ هَلْ

1- شرح المفصل، ج1، ص20.

2- د. مهدي ا لمخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص31.

3- نوار عبيدي: التركيب في المثل العربي القديم، مرجع سابق، ص70.

4- كمال بشر، علم اللغة العام، دار المعارف، مصر، د/ط، د/ت، ص245

5- المرجع نفسه، ص245.

أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[1]، فرأى المفسرون أن (هل) هنا بمعنى (قــد) وقــال بعضهم أن الاستفهام هنا تقريري، والفيصل في هذا الأمر إنما هو التنغيم الموسيقي[2].

والتنغيم المميز لأنواع الجمل لا يخص الاستفهام فقط، بل يلحق ببعض الجمل الاسمية الــتي لا يفهم معناها إلا بالنغمة الهابطة أو الصاعدة، وذلك في التفريق بين جملتين متفقتين مــن حيــث المكونات الصرفية لكنهما تختلفان عندما تراعى فيهما طريقة النطق كقولك: أبو بكر الــصديق، فهي عبارة عن:

مبتدأ + خبر ← جملة تامة.

مبتدأ + صفة ← جملة ناقصة تحتاج إلى متمم

وذلك بمثل هذا التحليل:

اسم معرفة + إمكانية السكتة + صفة معرفة + نغمة هابطة

اسم معرفة + استحالة السكتة+ صفة معرفة + نغمة صاعدة[3].

فالتنعيم الصاعد أو النازل في المنحى الإيقاعي قد يؤدي إلى تنوعات متدرجة تلعــب دورا في الإبلاغ وتغيير الدلالة العامة للملفوظ[4].

والحق أن هذه الفكرة لم تكن بدعا عند القدماء فقد أشار كثير منهم إلى العمليات الصوتية المؤثرة في المعنى الدلالي للجملة، فهذا ابن جني يقول: "...وكذلك نقول: (ســألناه فوجــدناه إنسانا) وتمكن الصوت بــ (إنسان) وتفخمه فتستحي بذلك عن وصفه بقولك: إنــسانا سمحــا

1- سورة الإنسان، الآية 01.

2- محمد مصطفى رضوان: نظرات في اللغة، منشورات فاريونس، ليبيا، ط1، 1976، ص279.

3- المرجع نفسه، ص280.

4- برجستراسر، التطور النحوي،مرجع سابق،ص165، وانظر هنري في فلاش ، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، مرجع سابق، ص205.

أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت: (سألناه وكان إنسانا) وتـــزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما"[1].

ولا ريب أن ابن جني يقصد بتفحيم الصوت عملية التنغيم أو التصاعد والتنازل بـــالمعنى الحديث في طريقة الأداء الكلامي التي تخفي وراءها معنى الجملة، بل ويذهب بعيدا عندما يؤكـــد أن (إشارات الوجه) تؤثر هي الأخرى في المعنى وذلك عندما قال (تزوي وجهك وتقطبه). غير أن فكرة التنغيم هذه لا تساعدنا بقوة في عملية تقسيم الجملة، فالمثالان اللذان ذكرهما الـــدكتور كمال بشر في (أبو بكر الصديق) هما جملتان اسميتان الأولى، بمبتدأ وخبر ظاهرين، والثانية بمبتـــدأ وخبر محذوف تقديره (صحابي جليل) مثلا مع إمكانية تقدير المبتدأ محذوفا تقديره (هذا) لـــذلك لم يدخل القدماء هذه المسألة في باب التقسيم كما لم يفعل ابن جني.

1- الخصائص، ج2، ص370-371.

الفصل الثالث: أنواع التراكيب ودلالتها في المدونة



1- **بين الوجود والعدم**

2- **انطلاق الحوار**

3- **نصح في قالب التأنيب والتحذير**

4- **رحلة التيه من ماض شهيد إلى حاضر شريد**

5- **ارحلـــوا**

خـــلاصة

1- بين الوجود والعدم:

يبدأ الدكتور الشريف ميهوبي كتابه **"سألت التاريخ"** عن أمتي فأبان بتقديم مسلمات حيث كل الآراء تتفق حولها، إذ الإنسان هو المحور الرئيسي في الكون، وهو الذي يصنع التاريخ ويحـــدد الجغرافيا، ويرسم المعالم المختلفة على سطح هذا الكون، وهو الذي يسهم في بلورة الجوانب المادية للأقدار- إذا لم يكن مساهما فعالا في صيرورتها- وتحديد مساراتها، بعد أن يقرر ذلـــك، ينتقـــل مباشرة إلى هذا الكائن غريب الأطوار، عجيب الأسرار، الذي يختفي في عالم الكاتـــب، عالمـــه العلوي، كما في عالمه السفلي، وهنا تبدأ الحيرة تتملكه وكأني به يقول: الكون لا يسمى كونا إلا بكيان الإنسان، وهي الحقيقة التي يسلم بها الجميع ولكني افتقد هذا الإنسان، بل وافتقـــد كـــل المقومات التي تشكل مع الإنسان كونا، والتي هي الوطن، والهوية، والتاريخ، فأين اختفـــى هـــذا المجموع؟

أصل الكون إنسان...

وأصل الإعمار إنسان...

وأصل الوطن إنسان...

فالإنسان هو العنوان

ولا إنسان خارج حدود الزمان والمكان

إني أفتش عن أرض ووطن وعنوان...

إني أفتش عني وعنكم وعنهم وعنا...

بين طلاسم الماضي..

ودروب الحاضر...

وأعتاب المستقبل

وينتقل إلى مستوى أعمق في الحيرة والتيه حين يقف مراقبا للواقع- ولعله حينها تـــسامى إلى عالم المثل- ويكتشف بأن ما ينشده هو خيط دخان، كلما حاول الجري من ورائـــه وجـــده

يندمج في الأفق ويختفي، وإذا ما أدركه - على قلة المرات- وحاول أن يمسكه تملص منه وانساب من بين أيديه حتى قبل أن يعاينه.

وقفت خلف الستار أرقب الأفقا فانتابني رعشة قلبي لها انفلقا

لما رأيت الحياة طلسما حائرا مثلي يفتش عن مرساه مذخلقا

مسا فرفي مدى الزمان أسأله متى اقتربت من الحقيقة انغلقا

كباحث في الرماد يبتغي شعلة لمادنا من رجاه شُلَّ واحترقا

كل هذا ورد في تراكيب هي على النحو التالي:

- تسعة تراكيب اسمية بسيطة، وتسعة تراكيب اسمية مركبة.

- ثلاثة عشر تركيبا فعليا بسيطا، وتركيبا فعليا مركبا واحدا.

فالتراكيب الاسمية البسيطة جاءت على النحو التالي:

أ- المسند إليه مضافا، والمسند لفظة واحدة مثل: أصل الكون إنسان، أصل الإعمار إنسان، أصل الوطن إنسان.

ب- كل من المسند إليه والمسند مضاف إلى ياء المتكلم، وجاء مرتين: يومي كأمسي+ أمسي كغدي.

جـ- المسند إليه + مسند شبه جملة: ثلاثة في دمي.

د- مسند إليه محذوف مرة واحدة في قوله: مسافر في مدى الزمان حيث الأصل: أنا مسافر...

هـ- أداة + مسند إليه + مسند شبه جملة + متمم مرة واحدة لا إنسان خارج حدود الزمان والمكان.

أما التراكيب الاسمية المركبة فجاءت على النحو:

أداة + مسند إليه مفرد + مسند جملة فعلية مثل: إني أفتش عن أرض ووطن وعنوان

أما التراكيب الفعلية بسيطة ومركبة فقد وردت أربع عشرة مرة منها جملة مركبة واحـــدة هي: **ستعرف بعد رحيل العمر بأنك كنت تطارد خيط دخان**

ومن خلال تتبع هذه التراكيب نجد أن التراكيب الاسمية منها هي الغالبة وفي ذلك دلالات لعل منها:

1- تمثلت البداية في تقرير مسلمات والتقرير يعتمد في الغالب المعمم على تراكيب اسمية.

2-رغبة الكاتب في توكيد الحالة التي يعيشها لذا لجأ إلى التراكيب الاسمية المؤكدة" إني..."

3- رفضه لأوضاع قائمة دفعه لأن يتوعد كل حالة بالتغيير وهذه الرغبة في التغيير دفعته لأن يذكر الوضع القائم (المرفوض) أولا، ثم يذكر البديل ثانيا مؤكدا هذا التغيير، وبنوع من الإصرار.

4- يبدو الكاتب منهكا جسديا ونفسيا بفعل رغبة قاهرة وواقع ثقيل كلما حاول أن يتلمس مخرجا صدمته الوقائع المتعفنة وأعادته إلى حيث لا يحب أن يكون، ويظل هذا الصراع بين الحلم والواقع يمزقه نفسيا، ويثقل كاهله، لذلك جاءت هذه التراكيب في شكل أنين خافت، فغابت عنها القوة والحركة، وهو ما استلزم غلبة التراكيب الاسمية.

2- **انطلاق الحوار:**

تتشكل هذه البداية من عشرة جمل، ثمان منها بسيطة، وجملتان مركبتان، وفيها يوخز التاريخ همة محاوره الذي ينتفض، ليصرخ بما يختلج في صدره، ليصرخ في وجه الإنسان، مطلق الإنسان، بدءا من نفسه، وكأنه تأنيب ينطلق من داخل الذات، لتتسع دائرته ويشمل الآخرين (الجزائريين على الخصوص).

وبما أنها البداية، فهي بداية هادئة هدوءا حذرا، يسبق عاصفة هوجاء تضطرم بداخل الكاتب، وعليه فالجمل كلها جمل اسمية باستثناء الفعلين: قال، وقلت، الدالين على الحوار.

وهذه الجمل جاءت على الشكل: **مسند إليه مفرد + مسند مفرد**

وجاءت جملة واحدة، المسند فيها جملة (البداية أن تكون).

كما جاءت واحدة أخرى على شكل: مسند (شبه جملة) مقدم + مسند إليه (لكل شيء بداية).

وجاءت جملتان على الشكل: مسند إليه + مسند محذوف وهما: (ويحك !)، (والعدم؟).

- جملة فيها المسند إليه اسم إشارة+ مسند مضاف (تلك قصة الخليفة والكون).

- جملة جاء فيها المسند إليه لفظة واحدة، والمسند شبه جملة (والعبرة فيما بين البداية والنهية).

3- **نصح في قالب التأنيب والتحذير:**

ولأن النصح مهما كان القالب الذي يرد فيه، فإنه يقتضي الطلب، وهنا جاء الطلب مباشرا، وبالتالي اقتضى الاعتماد في الغالب الأعم على الجمل الفعلية بحيث وردت في هذا الجزء الذي تحول فيه الانفعال من الداخل إلى الخارج ثلاث وعشرون جملة، منها سبع عشرة جملة فعلية وست جمل اسمية، أما الجمل الفعلية فجاءت على الشكل التالي:

أ- ست جمل ذات الفعل اللازم.

ب- جملتان الفعل فيهما متعد.

ج- تسع جمل فعلها ناقص (كن).

والذي أعطى للفعل الناقص حركية الفعل التام، هو الخبر الذي جاء في كل مرة اسم فاعل، واسم الفاعل كما هو معروف يدل على الفعل ومن قام به[1]، أي وكأن الفعل حدوثه مستمر (باسما، مترنحا، متراقصا، متفتحا، شاديا،مؤتلقا، ساميا، حانيا، تائها).

ثم إن الفاعل في الجمل الفعلية الثمانية (لازمة ومتعددة) جاء في شكل جملة نداء : أيها الإنسان أيتها الأغصان، أيتها الأوراق، أيتها الأزهار، يا عصافير الدّوح، أيتها النجوم ...

ثم إنه جمع هنا بين الإنسان وهذه الأشياء (التي ذكرت سالفا) لأنها هي التي تصنع جزءا من سعادة الإنسان.

- أما في الجمل المتعدية، فإن المتمم خاص بكيفيتين لا غير، هما كيفية الحياة، وكيفية السمو وهو المقصود من كل هذه الثورة. (تعلم أيها الإنسان كيف تحب، وتعلم كيف تموت).

وحينما ينتقل الأديب إلى وصف حالته وسط هذا الضياع، والتشرذم، فإنه يجد الشعر أنسب وأحسن وسيلة للتعبير من جهة، وللتنفيس من جهة ثانية، التعبير عن مدى عمق المأساة والتنفيس من شدة المعاناة.

ولأن المأساة التي عاشتها الجزائر وطنا وشعبا أشبه بالدوامة التي جرفت من سهل جرفه ودفعت بالذي استعصى– أي أن الكل متدحرج إلى وجهة يجهل عدد دركاتها، وعمق قرارها- لذلك نجد حركية متسارعة من غير انتظام ترجمتها الجمل الفعلية في الغالبية العظمى من الأبيات حيث أن الأبيات العشر تشكلت من ستة وعشرين تركيبا، منها إثنان وعشرون تركيبا فعليا وأربعة تراكيب اسمية فقط وتنوعت هذه التراكيب على النحو التالي:

أ- عشرة تراكيب فعلها مضارع :

أسير وحيدا – أغني أغاني حزن

أشدو نشيدا - أسير غريبا

أداري همومي – أترع كأسا

1- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص63-76.

أمشي تراودني – تراودني الذكريات

أمشي شريدا – أطوي المسافات

ب- إثنا عشر تركيبا فعليا فعله ماض:

تملكني اليأس – شيدا، أعجزني، تولى، تركت (03 مرات)، نسيت، بدأت، تعبت، فرحت أسير.

أما التراكيب الإسمية فهي:

1- **لا زاد لي:** أداة نفي + مسند إليه + مسند محذوف دل عليه الجار والمجرور.

2- **كان مديدا:** تركيب منسوخ بالناسخ (كان) + مسند إليه محذوف + مسند.

3- **ورائي ورائي:** كل من المسند إليه والمسند مضاف إلى ياء المتكلم.

4- **أين ملاذي؟** مسند مقدم + مسند إليه مضاف إلى ياء المتكلم.

التعليق:

تبدأ الأبيات بالفعل الماضي، حيث جاء البيت الأول في الزمن الماضي.

- تملكني اليأس حين بدأت ... فرحت ...

ثم تأتي بعد ذلك عشرة أفعال مضارعة، تدل على الحال، أي أن الإطار الزماني الكلي هو الماضي، أما استعمال المضارع الدال على الحال، فهو استعمال لدلالة الأديب على أن حالته التي أخبر عنها منذ البداية لا يزال عليها إلى الآن و لم تفارقه.

وفي الحقيقة فإن إعلان الاستمرارية لهذه الوضعية النفسية الرهيبة لم يكن عن طريق استخدام المضارع فحسب، ولكن كان أيضا بطريقة أخرى، أذكى، وذلك حين بدأ بصيغة "تفعل" التي تدل على المبالغة من جهة، وتعني أيضا "العمل بعد العمل في مهلة"[1].

جاء في الكتاب: "فأما قوله: تنقصته وتنقصني، فكأنه الأخذ من الشيء الأول فالأول"[2].

[1] – أبنية الفعل: دلالتها وعلاقاتها، أبو أوس إبراهيم الشمعان، ص 110.

[2] - أبنية الفعل: دلالتها وعلاقاتها، مرجع سابق، ص 110.

فالشاعر هنا في موقف الأسف والحسرة، حيث يؤكد بأنه حين قدم [فيما سبق] النصح والتحذير، ينطلق من تجربة شخصية، فهو يريد أن يقول: هذا الذي حدث لي فاعتبر به وتعلم منه أيها الإنسان، ثم يعود إلى الماضي النحوي حيث يورد كل الأفعال على هذا النحو، ولا يأتي المضارع إلا في حالة الاستفهام في الجملة الأخيرة.

أأبقى طريدا؟ والمضارع هنا دلاليا يدل على الحال، وكأن الشاعر أراد أن يقول بأن الماضي الذي ذكر في الأبيات، أو دلت عليه كل تلك الأفعال، هو ماض، انتهى إكلنيكيا أما بيولوجيا فلا يزال مستمرا، وبالتالي أين الطبيب الذي يمكنه أن يفصله عني أو يشفيني منه؟.

أما دلالة تعدية الفعل في التراكيب الفعلية، فهي دلالة على شدة الوطأة على نفسية الشاعر التي ترجمتها قوة الأفعال التي تعدت بنفسها، أو طلبت متمما [حال] وكأن كل تركيب يعكس تنهدا محرقا لا يكفيه الفعل اللازم الذي يصلح للزفير الطبيعي، لذلك اعتمده في موضعين فقط حين بدأت، تعبت وهما للتعبير عن أي بداية كيفما كانت: محتشمة أم قوية، مادية أم معنوية، مريحة أو متعبة، وللتعبير عن أي تعب سواء أكان ضعيفا أم مرهقا.

بعد إعلان الأديب عن الوضع النفسي الخطير الذي يعيشه، يكون قد أعلن عن استسلامه عنوة، وهذا الإعلان ليس لتقرير وضع هو قائم وإنما يحمل في دلالاته عتابا واستنجادا؟.

عتابا للذات واستنجادا بالمطلق، أي دون مخاطب معين، هنا وكأن التاريخ أشفق على محاوره فأراد أن يخلصه مما يعيق خلاصه، فراح يطلب منه أن يعمد نفسه في نهر داخل مرآة تعكس الصورة صادقة دون تشويه أو تجميل، إلا أن الشاعر يعلن في كل مرة عن عجزه وكأن الضربات قواصم، ويستشف ذلك من خلال بنية الألفاظ (أفعال وأسماء) المستعملة طيلة محاولة التاريخ لمديد العون بالإضافة إلى التراكيب الاسمية التي كانت ترد على لسان الكاتب جوابا على طلب يقدمه التاريخ.

الألفاظ الآتية: اتسق، ورق، ائتلق، يستحق، الغسق، ينفلق، تعتلق، التصق، يصطفق، انطلق، [ينظر صوت القاف] في انتهائها جميعا بالقاف الساكنة وقع شديد على السمع، يشبه

الطقطقه الصادرة عن ضربات قوية، فيوحي ذلك الصوت المتوالي الإيقاع الشديد بشدة الضربات وعنفها، ومن صفات القاف أنه صوت شديد انفجاري، وقد عده القدماء مجهورا متابعين في ذلك سيبويه[1]، وهو صوت من أصوات القلقلة (القلقلة شدة الصياح، وقلة الثبوت في المكان) [2] أمـــا الإجابة بتركيب اسمي: فيعكس حالة السكون واللامبالاة حتى لكأن التركيب الاسمي في جمـــوده يسعى لامتصاص الحرارة المنبعثة من دينامية التراكيب الفعلية وقوتها، وكان في كـــل مـــرة يـــأتي التركيب متصفا بنقيض المطلوب، أنا كائن من ورق، وطبيعي أن الكائن الورقي أضعف مـــن أن يصمد ويتسق، من يأفل لا يستحق والأكيد أن الذي يأتلق لا يمكنه أن يتصف بالأفول، وكذلك التوكيد الذي تكرر أكثر من مرة في إجابات الأديب ُيوحي بعمق الإصابات والشلل (إن قيدي لا ينفلق) إن (كل شيء في أرضنا يصطفق)، كل مافينا يصطفق، إن الحديث شجون. بعد ذلك يعود الكاتب بمحاوره إلى أصل الأزمة وجذورها والبحث هناك عن مكمن الـــداء لوصـــف العـــلاج المناسب وكأنه يقول: ما قد اقترحته علي من حلول أو علاج هو عبارة عن وصـــفة دونـــت انطلاقا من تشخيص خاطئ، وأن الطبيب الماهر هو الذي يعود إلى البدايات الأولى لهذا الاعـــتلال ويستقصي أسبابه، و أعراضه حتى يجتثها نهائيا.

أنظر إلى قول الكاتب: لا أعرف، جوابا عن سؤال محاوره: من تكون؟ فهو يعـــاني إذن أزمة هوية، وحتى الإجابة بهذه الكيفية تعاني نقصا حيث جاء المسند إليه محذوفا، رغـــم جـــوازه وكذلك المتمم محذوف (المفعول به) لأن الفعل (أعرف) فعل متعد إلا أنه تغاضى عن ذكـــره حتى وإن كان معروفا من السياق إلا أن هذا الحذف يوافق الدلالة عن أزمة الهوية الـــتي أشـــار إليها الكاتب.

أي أن التركيب المختصر الذي عانى الحذف من طرفيه (بدايته ونهايته، أي المبتدأ والمفعول به) هو إسقاط لتمزق الهوية وعدم وضوحها. وهي إشارة إلى أزمة الهوية التي ظلت تطرح علـــى المستوى الاجتماعي طيلة عقود دون أن يفصل فيها فصلا قاطعا على الواقع بعيدا عن الورق.

1- المدخل إلى علم الأصوات العربية، د. غانم قدور محمد، المجمع العلمي، بغداد، 2002، ط1، ص103.

2- المرجع نفسه، ص131.

وهذه التفاتة فنية رائعة حيث نجد الدلالة أوسع تماما من التركيب، وهي مقدرة لا يؤتاهـــا إلا ذو حظ عظيم يهدئ التاريخ من روع الكاتب بتركيب اسمي: (هذا قد يهون وهو تركيب جاء فيه المسند إليه اسم إشارة، و هي إشارة للقريب، وهي دلالة على الأحداث التي ارتعـــدت لهـــا أوصال الكاتب وصرح بها أثناء الحوار، وكأن التاريخ يمثل دور العارف للمخرج حتى يهدأ محاوره لأنه يعده لما هو أخطر، وأشد.

ثم إن المسند جاء على شكل أداة + تركيب فعلي [قد يهون] وقد تفيـــد التقليـــل مـــع المضارع[1]، ناهيك عن الفعل الذي جاء مضارعا دالا على الاستقبال، بمعنى أن هذا الذي تجده مدعاة لكل هذه الثورة سيتضاءل قرعه، ويتخافت حرقه، رويدا كلما اطلعت على ما هـــو آت بعدها يصرح- بعدما كان يلمح- يصرح بان الذي خفي عليك أعظم حين يقول: (إن الحـــديث شجون) و[إن إذا دخلت على المركب الاسمي تفيد التوكيد][2] وكأنه يقـــول: تأكـــد بـــأني إذا حدثتك وأنا الخبير، فعليك أن تتحمل الفواجع ولك أن تتحمل مسؤولية نفسك، وحين يأنس من الكاتب استعدادا وقبولا ينطلق في تقمص دور الطبيب المداوي يبدأ بوصف الدواء قبل الداء مـــن أجل ألا يصدم مريضه حين يعلن له عن العلة، فكيف إذا كانت عللا؟.

وقبل أن يشرع التاريخ في تقديم الوصفة، يعلن لمحاوره بأنه ســـيحدد الإطـــار الزمـــاني والموضوع، على اعتبار أن الحاضر محصلة للماضي ومرتكز للمستقبل وعليه فإن كل العلل الماثلة هي نتيجة حتمية لاعتلالات سابقة (أخطاء في التصور والمنهج والتطبيق والتقويم) وستكون جنينـــا مشوها في رحم المستقبل ما لم تتدارك، وإن بعمليات قيصرية تفاديا لتفاقم العاهـــات واستـــشراء الأمراض، كل هذا يستشف من قوله: "دعني اختار الزمان والمكان" "اختار الزمان الآن"، واختار التاريخ والشباب عنوانا".

فالتركيب الأول طلبي تشكل من جملة كبرى وجملة صغرى، هذه الأخيرة أيضا تركيـــب فعلي متعد (اختار الزمان والمكان)، وورود فعلين دليل على القوة من جهة، والحركية من جهـــة

1- معجم الإعراب والإملاء، د/ إميل بديع يعقوب، ط2، دار شريفة، د.ت، ص314.

2- المغني، ج1، ص46.

أخرى، وكأني به يعد نفسه ويهيئها لانطلاقة قوية، ولأن الاختيار أيضا يتطلب مقـــدرة ماديـــة وأخرى معنوية فالتركيب بهذه الكيفية يشكل مرحلة الإحماء قبل خوض غمار المجازفـــة، وهـــي مجازفة بأتم معنى الكلمة، فكيف لا، وهو مقبل على تشخيص وضع تـــتلاطم شـــطآنه وتتـــصادم أمواجه، وتترنح سفنه ولا تزال، ثم حين يأذن له الكاتب يبدأ في التحديد:

"اختار الزمان الآن، واختار التاريخ والشباب عنوانا" وهذا التحديد جاء في تركيبين فعليين فعلهما مضارع. اختار: والمضارع هنا دل على الحال، دون الاستقبال في التركيبين وذلك لوجود قرينتين لفظيتين.

أما في التركيب الأول [اختار الزمان الآن] فالقرينة اللفظية هي(الآن) ويعني الوقت المعيش أي الزمن الذي يعيش فيه الكاتب. و أما في التركيب الثاني [اختار التاريخ والـــشباب عنوانـــا] فالقرينة هي (الشباب) لفظة الشباب تعني المرحلة الحالية والتي لا يجاوز عمرها ربع القرن وهـــي في عرف التأريخ (آن) هذا الاختيار كان بمثابة جرعة الدواء الأولى التي يتردد بشأنها المريض بـــين الرفض والقبول، قبل أن يؤكد له الطبيب بأن بعد المرارة الشفاء. هذا التـــردد يتـــرجم في قـــول الكاتب: [مهلا]! وهو مفعول مطلق دل على محذوف. ويريده أن ينظره حتى يفهم لمـــاذا هـــذا الاختيار دون غيره رغم أنه اختيار صعب يهيج المشاعر وينكأ الجراح.

"لم اخترت ما يهز الأبدان، ويزيد من شكوانا، ويبعث في نفوسنا الأسى والأحزان وينأى بنا بعيدا عن سؤلانا"؟ وكأني به كان ينتظر تعزية بالرجوع إلى الماضي المشرق لعله يخفـــف عنـــه بعض الذي كان يرهق كاهله. لكن التاريخ يصر على اختياره، ويشرح لمحاوره الأسباب الداعيـــة إلى ذلك." فلم يك اختياري صدفة لا في الزمان ولا في المكان" وهو تركيب سبق بأداة نفي (فلم يك) حتى يثير الانتباه لما بعده.

وبعد هذا الإعداد الذي صاحبته بعض المقاومة الطبيعية من الكاتب والتي انتهت بالإذعان الشبيه باستسلام العاجز، راح الطبيب [التاريخ] يقدم الوصفة ويشرحها ويعللها بمهارة الجـــراح الخبير، الذي كان في كل مرة يضع المشرط على مكمن الداء. ويشق الموضع مبديا ابتسامة الواثق

مما يفعل حتى يلقى رضى وقبولا من المريض، وهكذا دواليك إلى أن جاء على كل ما رآه أهـــلا للجرح أو التعديل.

وقد جسد ما قيل التراكيب الواردة: حيث وردت الإجابات في تراكيب اسمية والتي تتسم بالهدوء والسكون: "أنتم الآن أكثر، من أي وقت...في حاجة ماسة إلى حماية..." وهي إجابة برر بها داعي اختياره للزمن الحاضر. ثم جاءت الإجابة المبررة للعنوان أيضا عن طريق تركيب اسمـــي مركب على الشكل: أداة تفصيل + مبتدأ مفرد + خبر جملة اسمية حذف فيها المبتدأ. "فأما العنوان فالتاريخ والشباب" وبدأ الكلام بـــ (فأما) وهي تفصيلية[1]، لأنه حقا فصل سبب هذا الاختيـــار بعد أن أكمل الجملة، ثم ذكر المبتدأ (العنوان) و أخبر عنه بمركب اسمي، غير أنه حذف منه المبتدأ لأن أصل الكلام: فهو التاريخ والشباب، إظهارا للأهم وشدا لانتباه محاوره، وأما الفاء فهي زائدة وغالبا ما ترتبط الفاء الزائدة بالخبر[2].

وجاء التفصيل السالف الذكر في أربعة تراكيب اسمية نعتية، كل ذلك ليؤكد أن الاختيـــار له ما يبرره، وختم هذا التفصيل الناعت بـــ: "...بل سود السنين" بعد أن قال: [مـــشعل يـــنير دروب السنين] فأراد أن ينعت السنين بالسواد فغير الحكم بواسطة الحرف [بل] وهـــي تفيـــد الإضراب[3]، وهذا الإضراب وهو نقل الحكم إلى ما بعدها – له دلالة كبيرة، إذ يعتـــبر إشـــارة صريحة إلى فترة زمنية بعينها.

وبعدما ينتهي من تقديم الأسباب التي جعلته يختار الزمان والعنوان، شرع يوضح أهمية كل عنصر في بناء جسد سليم (حضارة قوية) بقوة المجتمع ومناعة أفراده، ولم يبدأ الحـــديث عـــن العناصر مرتبة كما اختارها في البدء (الزمان فالعنوان) ولكنه بدأ من حيـــث انتـــهى، أي بـــدأ بالعنوان وأرجأ الحديث عن نفسه، وذلك للتدليل على أن التأريخ صناعة، ولا صـــناعة بـــدون صناع بل بدون صناع ماهرين، ولا صانع أكثر مهارة من الشباب، وبين بأن الشباب هو المحـــرك

1- مغني اللبيب، ج1، ص69.

2- المرجع نفسه، ص188.

3- ميل بديع يعقوب معجم الإعراب والإملاء، دار شريفة، الجزائر، ص131.

في أي جسد وهيكل، وإذا ما أصابه أي خلل ينعكس سلبا على دينامية الجسد، فمـــا بالـــك إذا تعطل نهائيا؟!

ثم راح يذكر إيجابيات هذا المحرك (الشباب)، في سرد غريب، غريب لأنه بدأ من الجـــزء إلى الكل عوض أن يبدأ من الكل إلى الجزء، وغريب لأنه خالف النظام في الجمل الـــشرطية الـــتي ذكرها وهي سبعة تراكيب وكان قوام هذا السرد تسعة تراكيب اسمية.

بدايتها وصف مجمل فصل في تراكيب سبعة صبت جميعها (مجملها ومفـــصلها) في الكـــل وكان المجمل مؤكدا بتأكيد المبتدأ عن طريق الضمير هو: [الشباب هو عماد الأمة وسندها] وهذا التوكيد دلالة على أهمية العنصر المذكور، وهو هنا الشباب، ثم راح يفصل ما معـــنى أن يكـــون عمادا وسندا، ولكن بطريقة مخالفة للترتيب الطبيعي لهذا النوع من الجمل بحيث قدم الجزاء علـــى الشرط: الحامي إذا جد جدها، الأمل إذا أقبل غدها...

كل هذا من أجل أن يبين الصفات والمقومات التي يتمتع بها الشباب، وهي طبعـــا كمـــا ذكرها [الحماية القوية، الأمل، الإعانة، الإضاءة، الحرارة، المحرك البناء] ثم يلخص فيشفي ويكفي حين يقول: [هو رأس مال الأمة وصلبها] أي أنه أتى على كل الأجهزة الحيوية وقدمها على أنها هي الجسم الحي.

بعد هذا يجد المريض [المحاور] بأن لا جديد عليه، فما ذكره الطبيب [التاريخ] موجـــود واقعا، ولكنه يعجب من كون هذه المقومات موجودة، إلا أنها لم تشكل مناعة كما هو مفـــروض أن تكون.

عجبا! وهي مفعول مطلق، وذلك دليل على شدة العجب ودلالته المفتوحة إذ لم يقل: يـــا للعجب مثلا، إنما قال: عجبا! لأنه يكاد يشده ويظهر ذلك ما بعده: أتملك أمتي هـــذا الرصـــيد وتحتضر؟! وهو تعجب في قالب تساؤل دليل على أن الحيرة مركبة، وكأنـــه أراد أن يقـــول: أعجب لاحتضار أمتي! لماذا تحتضر وعندها كل مقومات الحياة؟.

غير أن الإجابة تزيد الأمر تعقيدا حينما يخبره التاريخ بان الأمة [الهيكل] ركب لها محرك تركيبا مخالفا أي ضد المعهود، فتحرك هذا الهيكل إلى وراء، وبالتالي أصبح المحرك عامل تأخر عوض أن يكون دافعا إلى الأمام [لا تعجب، فوراؤكم أمام، وأمامكم وراء].

فتساءل الكاتب إن كان الميكانيكي مزيفا؟ [وهل كل ما يقال رياء؟] أم هي أسباب أخرى؟.

فجاءت الإجابة بأن الخطأ مركب، وبالتالي فتقويمه أصعب مما لو كان خطأ مفردا، وفي الإجابة تملص من توضيح هذا التركيب لخوف مركب أيضا: خوف على الكاتب وخوف من الميكانيكي وأعوانه [رياء و أشياء، فدعني حتى لا أبوح بما تشاء ولا أشاء] وهو تركيب اسمي حذف منه المبتدأ وجوبا لأنه معروف مسبقا [رياء وأشياء] يعني هو رياء وهو أشياء، ثم استأنف الكلام بتركيب فعلي طلبي [فدعني حتى لا أبوح بما تشاء ولا أشاء] وهو يحمل الكثير من التحفظ، دلالة على الخوف الذي ذكر سالفا ولما استشعر المحاور [الأديب، المريض] هذا الخوف في كلام محاوره، راح يحذره: احذر! ثم يشرح له أسباب هذا التحذير، وكأني به قد أدرك أن التاريخ إذا استجاب إلى طلبه سيذكر مالا يشاء ذكره، أي الذي لا يعجب الذين ركبوا المحرك في الاتجاه المعاكس، وبالتالي فإنهم يثورون ضده ويحولونه إلى جان، ويتخذونه مشجبا تعلق عليه كل الجنايات والجرائم [فللجدران أسماع، وللحروف أسماء، وللأصوات أصداء] وهي تراكيب اسمية تقدم فيها الخبر في كل مرة على اعتبار انه جاء شبه جملة من جار ومجرور، ولهذا الأخير حق الصدارة، وفي هذا دلالات كثيرة منها أن الجر دلالة على استدراج البريء عن قصد وعن غيره إلى التهمة كما أن لهذا الذي يجر القيادة والسيادة وبالتالي فالموقف يقتضي أن نرتدي أثوابا من الرضى فلا داعي إذن أن تعلن على حضورك وصحوتك.

حتى لا تكون صحوتك وابلا يأتي على الأخضر واليابس عوض أن تكون غيثا نافعا (فلا تبرق ولا ترعد، حتى لا يكون في أول الغيث أنواء) وهو تركيب فعلي في قالب الطلب. سبق بأداة

نهي. لا تبرق ولا ترعد وهو الطلب. وبعدها يأتي جواب هذا الطلب، أو المبرر وبدئ بـ: (حتى) وهي للتعليل، أي تعليل هذا الطلب [حتى لا تكون في أول الغيث أنواء].

بعد هذا التحذير يطلب التاريخ من الكاتب [الطبيب من المريض] أن يختار فضاء رحبا لا تحده حدود جغرافية ولا حدود عرفية ولا حدود قانونية، أقصد تعسفية، [اختر لنا فضاء لا تحد من رحابته أرض ولا من أفقه سماء].

فلم يجد الكاتب هذه المواصفات مجسدة في أي مكان ولا في شيء، ما عدا التاريخ، وهو الذي تنطبق عليه تلك المواصفات بدقة فأجاب: [إذن حدثني عنك أيها التاريخ] وبدأ هذه الجملة بـ: (إذن) وهي جواب لمحذوف حيث أراد أن يقول له: أردت فضاء بمواصفاتك إذن حدثني عنك لأنك الوحيد الذي تتوفر فيه هذه المواصفات.

ثم يستأنف كلامه فيقول: [فأزمة أمتي- اليوم- انتماء] وذلك ليدلل على أنه ما طلب منه الحديث عن نفسه- لأنه هو وحده الذي تتوفر فيه المواصفات السابقة فحسب- ولكن لان أمته اهتز انتماؤها، والانتماء لا يهتز إلا لخلل، أو لقطيعة أو لسوء فهم، أو لغفلة من واحد منهما [الأمة أو التاريخ] غير أن في الغالب بل المتعارف عليه أن التاريخ براء من هذه النقائص، وعليه فالأمة هي المعنية بذلك، وربط بين التاريخ والأزمة بالفاء وهي تفيد التعقيب أي أراد أن يقول سبب أزمتها أنت، بل بسببك أنت أصابتها الأزمة.

وليبارك التاريخ ويزكي نظرة محاوره يذكر أفضاله في عشرة تراكيب اسمية،كان التركيب بالأطول فيها التركيب الأول: [أنا ذاكرة الأمة، وأمة بلا ذاكرة مكتوب عليها التقهقر والاندحار، والسقوط والانحدار، كشجرة اجتثت من فوق أرض، مالها من قرار]. ثم تأتي التراكيب الأخرى بين قصير ومتوسط وهي بمثابة الأطراف وبقية الأجهزة، وبالتالي فإن التركيب يتناسب طردا مع أهمية الجهاز الذي يمثله مادام التركيب الأول يمثل الدماغ، مكمن العقل والذاكرة.

وللدلالة على أهميته فإنه كان في كل تركيب يبدأ بنفسه "أنا" ويكرر الضمير "أنا" حيث كان يمكنه الاستغناء عن هذا التكرار بالحذف، ويعطف دونما حاجة تركيبية [نحوية] إلى هذا الذكر المتكرر للمبتدأ.

غير أنه وجد نفسه في موقف يقتضي منه أن يؤكد في كل مرة أهميته [التاريخ] فراح يذكر نفسه [أنا] ويبدأ بها بصورة لافتة للانتباه. وهي دلالة واضحة على قيمته وأهميته التي افتقدهما في حياة هذه الأمة، الأمر الذي سبب لها هذا الانفصام والتيه.

وبهذا السرد المتراتب، والذي زاده السجع أثرا بالغا على سمعه. الذي ترك وقعا على ذهنه وشوش فكره، اضطر إلى توقيفه، ليبحث عن نفسه وسط كل هذا الزخم.

قلت: [مهلا!] ثم يستجمع قواه ويسأل: أين أنت من أمتي؟ وأين أمتي منك؟ وأين أنا منكما؟.

هي أسئلة ثلاث تدل دلالتين اثنتين لا غير:

1- إما أن السائل لم يلملم شتاته بعد، وبالتالي فقد القدرة على تبرير الانفصام الحاصل بين ثلاثة يشكلون بالأصل واحدا.

2- وإما أن السائل يسأل في قالب الإنكار عن سبب هذه الفرقة التي يأباها كل شرع ووضع.

والأرجح أن الاحتمال الأول أقرب من الحقيقة، حيث لازال أثر الوقائع التي ذكرها التاريخ ذا مفعول مستمر على الكاتب، وبالتالي فإنه يجهد نفسه لأن يجد إجابات لهذه المتناقضات ويؤكد هذا الطرح تحليل الوضعية التي تلت الأسئلة [أمة تبحث عن تاريخ ولها تاريخ، وتاريخ يبحث عن أمة، وأنا تائه بين أمة وتاريخ. فهل تاه الطريق عن أمتي، أم تاهت عني الطريق؟ كلنا يفتش عن رفيق؛ أنا وأمتي والطريق.

أين أنا؟ وأين الرفيق؟ وأين أمتي؟ وأين الطريق؟ وهو تحليل شابته أسئلة جديدة أسئلة إذا ما أخذت بمعزل عن الكل أوحت بأنها أسئلة مهربة من طلاسم أبي ماضي. لكنها توحي في واقع الحال عن حيرة، وخوف، واستعطاف. أما أنها توحي عن الحيرة فذاك واضح جلي من خلال قوله: [أمة تبحث عن تاريخ ولها تاريخ]، [وتاريخ يبحث عن أمة]، وهما تركيبان اسميان

مصنوعان على هذه الشاكلة عمدا ليبين في كل مرة المعني بالأمر من جهة، وليدل على استمرارية الحدث وتواصله من جهة أخرى حيث جاء المسند [الخبر] جملة فعلية فعلها مضارع دال على الاستمرارية [تبحث عن تاريخ]، (يبحث عن أمة) وهذه الحركية المتسارعة فيها الكثير من التناقض الذي لا يستوعبه العقل، وبالتالي يصيب بالحيرة، إذ كيف يعقل لجسد أن يفصل عن روحه، ثم يبحث عن روح رغم أن هذه الروح تبحث عن هذا الجسد، ويظلان في سعي دائم لأن يستقرا وكأنهما يدوران في حلقة مفرغة. إنّه لأمر يدوخ ويصيب بالدوار. وأما أنها توحي بالخوف فذلك يظهر من خلال قوله: "وأنا تائه بين أمة وتاريخ" وهو خوف مشروع، لأن الكاتب وجد نفسه في كل مرة مجبرا على أن ينتمي إلى الجزء لا الكل، لكن أي جزء يختار هل سينتمي إلى الأمة؟! وما الأمة من دون تاريخ؟! أم ينتمي إلى التاريخ وما قيمة التاريخ إذا لم يكن من صنع أمة؟! فخاف إن هو اختار أحدهما أن يضيع الآخر وهو لا يريد أن يفرط في أي منهما إذن من غير المعقول أن تتواجد عملة من وجه واحد، وهذا الخوف، هو الذي تركه في هرولة دائمة تستمد طاقتها من التردد واستحالة الاختيار.

وأما الاستعطاف الممزوج بالحسرة ورائحة اليأس وشقوق الانكسار فيستدل من قوله: " فهل تاه الطريق عن أمتي، أم تاهت عن الطريق؟" كلنا يفتش عن رفيق؛ أنا وأمتي والتاريخ والطريق"." أين أنا؟ وأين الرفيق؟ وأين أمتي؟ وأين الطريق؟".

وهي تراكيب استفهامية في معظمها، استفهام لا يريد من ورائه إجابة، بقدر ما يريد من ورائه قوة هائلة تضع هذه العربات على السكة بعد أن تشدها إلى بعضها لتشكل قاطرة واحدة تتوجه وجهة محددة ومدروسة ومتفقا بشأنها، وهذه القوة موزعة بين تلك العناصر، فلو اجتمعت لتحقق المطلوب، وهو نوع من اللوم على هذه العناصر [أنا، والأمة، والطريق] من غير التاريخ طبعا، رغم انه ذكره في البداية حينما كان الكل يبحث عن الرفيق ولكن استثناه في الختام. أين أنا؟ وأين الرفيق؟ وأين أمتي؟ وأين الطريق؟ و لم يسأل عن التاريخ، وفي هذا دلالة قاطعة بان المتسببين في هذه الأزمة هي تلك العناصر السابقة، أما التاريخ فبريء لأنه إذا أريد به الماضي فهو

من صنع آخرين أقوياء، وإن أريد به الحاضر أو المستقبل فهو صناعة، والصناعة مرآة صادقة عن الصانع، أو الصناع. رغم كل هذه الفوضى، ورغم التشتت المادي والفكري إلا أن الكاتب يترك خيطا رفيعا يشده إلى الأصل ليقول: بأن لي أما أهرع إلى حضنها فتضمني، وتهدئ من روعي كلما اسودت الدنيا في وجهي، وأوصدت الأبواب. وهذه الأم ما هي إلا الجزائر.

الجزائر التي تسمع هذا الصراخ، وتتحسس هذه الزفرات، وتخاطب الكاتب سائلة إياه "من"؟ والسؤال يبدو سؤال الخائف الذي اختلطت عليه الأمور، فلم يعد يفرق بين من هو عدو ومن هو صديق" نطقت والخوف في عينيها "معنى هذا أن السؤال "من" صدر في جو يسوده الخوف والرهبة. وبالتالي فدلالته بعيدة عن توضيح هوية المسؤول، ولكنها تهدف إلى توضيح إن كان صديقا أو عدوا من غير أهمية للأسماء، التي تعددت وتعدد معها الجرم والاعتداء. ثم إن العبارة "نطقت والخوف في عينها" أشبه بمعارضة لمطلع القصيد الشهير في أوساط الرومانسيين(قارئة الفنجان) التي تبدأ جلست والخوف في عينيها تتأمل فنجاني المقلوب، وكأن الشاعر أراد أن يقول بأنها لم تجلس وكيف للخائف أن يجلس؟ بل نطقت وهي واقفة والخوف يبدو جليا في عينيها تتأمل شكله المقلوب.

المقلوب لما أصبح عليه الجزائريون في فترة معينة، بحيث تحولوا من أبناء بررة بوطنهم إلى أعداء يحملون معاول الهدم ومكانس الإفناء. واختلط الحابل بالنابل، وغابت الفوارق التي تميز العدو من الرفيق.

ثم يأتي الحوار الذي دار بين الأم " الجزائر" والكاتب " الابن" الذي يتمزق ألما وحسرة إلى الحد الذي نسي فيه اسمه. ويأتي هذا المقطع الشعري الحواري في أحد عشر بيتا؛ وتشكلت هذه الأبيات من ست وعشرين تركيبا باستثناء الفعلين "قالت "و"قلت" الدالين على الحوار.

ولأنه حوار فقد تميز بالحركية التي تدل على تبادل الحدث بين المتحاورين، ويعكس ذلك عدد التراكيب الفعلية الذي بلغ سبعة عشر تركيبا في مقابل تسعة تراكيب اسمية، وجاءت التراكيب الفعلية على نحو ما يلي:

1- كل الأفعال متعدية بنفسها.

2- هناك فعلان متعديان إلى أكثر من مفعول هما:

أ- اسألي: وهو متعد إلى مفعولين سد مسدهما شبه الجملة (عني).

ب- ينبى: وهو مضارع أنبأ المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل، حذف الأول لعلمه (الكاف) أنت، الجزائر، وللضرورة الشعرية وسد مسد المفعولين الثاني والثالث شبه الجملة " عن تكويني".

3- وجود جملة شرطية جاء فيها فعل الشرط ماضيا، وفعل الجواب مضارعا دالا على الحال، وهذه الجملة وردت في سياق الاستعطاف والترجي، "إن بانت الآن رؤياك فاهديني".

4- الأفعال الماضية قليلة وعددها خمسة.

5- الأفعال المضارعة الواردة في قالب الأمر تسعة [طلب].

أما التراكيب الاسمية فكانت على الشكل:

أ- مسند إليه محذوف + مسند: ثلاث مرات.

1- "من"؟ وأصلها أنت من؟.

2- تائه وأصلها: أنا تائه.

3- ثنتاهما وأصلها: أنا ثنتاهما.

ب- مسند إليه + مسند محذوف "أنا"؟ أصل الكلام "من أنا"؟.

جـ- مسند + مسند إليه، ضمير مرتين: "أغريب أنت"؟ "طلسم أنت" وتقدم المسند إليه لإظهاره.

د- تركيب واحد استوفى عنصريه ذكرا وترتيبا: مسند إليه + مسند "أنا مثلك".

هـ- تركيب اسمي على الشكل: مسند إليه مفرد + مسند جملة فعلية: وتمثل في الجملة التعجبية: "ما أغرب المرتجي!".

و- تركيب اسمي على الشكل: أداة + مسند إليه + مسند جملة فعلية، وتمثل في قوله: " إن غناءك ينبيني" وهو أسلوب توكيد.

الدلالات المستخلصة مما سبق:

1- غلبة التراكيب الفعلية، التي شكلت نسبة هامة مـــن المجمـــوع الكلـــي للتراكيـــب (17 تركيبا من أصل ستة وعشرين) أي نسبة تفوق الخمس والستين بالمئة (65%) دليل علـــى الحركية المتسارعة في غير نظام (متذبذبة) بحيث تشكل منحنى بيانيا متكسرا يعلو حـــين يكـــون الشاعر بصدد جلد الذات، وحين تكون المحاولة بصدد التقريع، ثم يهبط أو يكاد يستقر كلما لجأ كلاهما إلى الشكوى والبوح.

2- قلة التراكيب الاسمية دليل على ان كل طرف منشغل بالآخر، وقلما يعود إلى نفـــسه ليسترجع أنفاسه من أجل بداية جولة جديدة.

3- تعدية الأفعال دليل على حرارة الحوار وقوته، مما يعني أن في كل مرة تكون ردة الفعل في قوة الفعل، أو تتجاوزه، وهو ما يجعل المنحنى يتزايد ولا يستقر إلا لماما.

4- قلة الأفعال الماضية دليل على أن الحاضر، ومنه المـــستقبل، هـــو الـــشغل الـــشاغل للمتحاورين، وعلى الخصوص الشاعر، وكأنه يريد أن يتخلص من الماضي القريب الذي حدث فيه ما أوصل الوضع إلى ما هو عليه، ويسعى لأن يجدد العهد، ويبدأ مع أمه (الجزائر) وضعا مغايرا.

بل إن كثرة طلباته توحي بأنه يتعجل الإجابات عما يشغله، لينطلق من وضـــع صـــحيح في اتجاه صحيح وفي مسار سليم.

5- ورود التراكيب الاسمية محذوفة أحد العنصرين الأساسيين [المسند أو المسند إليه] يعزز مقولة قوة الحوار وعنفوانه، كما يعزز فكرة العجلة التي كان عليها الشاعر؛ و لم يلجـــأ إلى ذكـــر المركب الاسمي كاملا إلا حين أراد أن يقارن نفسه بالجزائر: "أنا مثلك" وهو الوضـــع الوحيـــد الذي جاء فيه التركيب الاسمي طبيعيا.

أما في الحالات الأخرى، فقد كان متعجبا مرة، ومرة أخرى مؤكدا حاجته إلى الجزائر التي هي المخرج الوحيد له مما يعانيه.

وعموما فإن هذا الحوار الشعري كان مناسبة للشاعر لأن يطارح الوطن حبه، ويشكو لـــه وجده رغم الصد المتكرر المعلن عن طريق تغيير منحنى الكلام وعدم المجاراة بقول (الجزائر).

أغريب أنت هنا؟ أم رماك الزمان لتشقيني؟ فيكون الرد عبر دفقة طويلة في غلاف لـــواعج فـــؤاد مضطرم ومناجاة عاشق متيم.

اسألي عني، اقرئي كفـــي	**أم ترى ضللتك فناجيني؟**
اقرئي في عيوني سفر هواك	**فقد ينبي عن تكـــــويني**
وارسميني كوشم على عتبات	**الهوى وأجيدي تلـــويني**
ربما قمتدين إلى اسمي ورسمي	**ودربي وحتى إلى حيـــني**

ثم تستمر اللامبالاة وتتطور إلى نوع من التنصل والتمنع حين تقول: طلسم أنت حـــيري لم يبن سره، لكن هذا المحب يعلن عن مدى عشقه حين يسوي بينه وبين الحبيبة وكأنه يريـــد أن يقول: مادام كلانا يجهل السر فلنا قاسم مشترك يجمعنا، ولامناص من التوحد، وهذا التوحـــد لا يمكنه أن يكون إلا إذا حدث حلول بتعبير الصوفية، والحلول يستلزم قبول الطرفين؛ طرف يكون جزءا، وطرف يقبل أن يكون جزءا منه الطرف الآخر، وما الجزء إلا الكاتب (الشاعر) وذلـــك مستوحى من قوله:"... فكيني"؟ " إن بانت الآن رؤياك فاهديني"، " واكتبيني قصيدا على شفتيك فإن غناءك ينبيني".

والمتأمل لكلام الشاعر سابقا يلاحظ بأنه يطلب القرب لتعود إليه ذاكرته ويخرج من تيـــه تملكه في متاهات معقدة المسارات وكثيرة الفرج، غير أن الفرج الآمن لا يعرفه دونمـــا مـــساعدة الحبيبة (الجزائر). ومادام الأمر على هذا النحو فهو حب أناني. لكن الشاعر يعلن بأنه حب يمثـــل قمة التضحية، لأنه لا يريد أن يحب حب المغفلين أو الحمقى، الذين كثيرا مـــا يـــضرون حينمـــا يسعون إلى النفع، ولطالما أشقوا بدل أن يسعدوا ولا يتأتى ذلك إلا إذا عرف نفسه معرفة تامـــة،

حيث يحدد إيجابياتها ويصلح سلبياتها ليحب الوطن حبين؛ حبا له، وحبا لأنه أهل له. وحرصا منه على ذلك فإنه لا يكتفي بالاسترشاد من الوطن، بل يتعداه إلى التاريخ الذي أظهر له في البداية بأنه قد أوتي خبرا واسعا فيستعطفه تارة، ويستفزه أخرى، لعله يجد ضالته، ويمهد لأسئلته بتراكيب استفزازية تبدأ بالنداء وتنتهي باستفهامات. " أيها التاريخ!" وهي جملة نداء قصد التنبيه.

"يقال إنك منهل عذب" تركيب فعلي صيغ مبنيا للمجهول وفي ذلك دلالة على كثرة القائلين بعذوبة المنهل، وكأنه ينكر ذلك في قرارة نفسه "أنك منهل عذب" تركيب اسمي حل محل المفعول به، دلالة على دوام التركيز على التاريخ. فلم يكتف بأن ناداه "أيها التاريخ!" لكنه أردف "أنك" وفي هذا التكرار للمخاطب نوع من الشحن، لعل الحيلة تنطلي عليه فيكون رد الفعل تأييدا لما "يقال" وهو ما يهدف إليه الكاتب طبعا وخاصة، وأنه أورد هذا التذكير -كما سبق ذكره- في قالب الإنكار.

ثم يضغط حيث يعتقد مركز الاستجابة: "والمنهل العذب- كما يقول أجدادي شديد الزحام وكان والضغط بمركب اسمي، فصل بين طرفيه بجملة اعتراضية ليست ذات قيمة تركيبيا ولكنها ذات أثر عميق دلاليا: كما يقول أجدادي، وكأنه استشعر العلاقة الوثيقة بين التاريخ والأجداد الذين صنعوا من هذا التاريخ صفحات مشرقات فأراد استغلال هذه العلاقة أتم الاستغلال بحيث:

أ- قال: - أجدادي- بإضافة ياء النسبة، وفي ذلك إيحاء بأنه فرع من تلك الشجرة المباركة والفرع تابع للأصل أي: ذاك الشبل من ذاك الأسد.

ب- ذكر الأجداد عسى أن يشفع له صنيعهم عنده فيجازيه إجلالا لهم ويسمع إلى طلبته.

ثم يستمر في الاستفزاز، ويركز الجرعة بان يمسه في مقاتله: [لكني لا أراك اليوم وردا موردوا ولا منهلا مقصودا. أترى نضب ينبوعك؟ أم صار ماؤك آسنا؟ أم أصبح ماؤك غورا؟] ويبدأ هذا التركيز بتركيبين اسميين سبقهما بـ: لكن، ولكن تفيد الاستدراك[1] أي أراد أن يقول:

---

[1] - مغني اللبيب، ج1، ص322.

هذا الذي قيل عنك، أما أنا فلا أرى ذلك، لا أراك اليوم وردا مورودا فكيف يقال عنك منـــهلا عذبا شديد الزحام]!؟.

ويعمق الوخز [أترى نضب ينبوعك؟ أم صار ماؤك آسنا؟ أم أصبح ماؤك غورا؟] يعمـــق الوخز لأنه يدرك أن هذا التشكيك هو بمثابة طعن في رجولة فحل جسور، يجعله على أهبـــة أن يفعل كل ما ينفي هذا الشك ويمحو هذا الريب وهي حيلة تنبئ عن مدى ذكاء المحاور ومعرفتـــه لبؤر الاستثارة ومن أجل إن يوجه الكاتب مجرى الانهمار الوشيك أردف كـــل ذلـــك الـــشحن والشحذ بمجموعة من المطالب في قالب الاستعطاف "اشف غليلي أيها التاريخ"، "اسقني بماء الحياة الذي سقيت منه أجدادي".

"لقد تاه الطريق مني" "لم اعد أبين" " فهل حولت عني منبعك؟" أم حولتني عنـــه حبلـــي الستبن؟ "ما أتعس هذا الزمان الذي حولني عنك!".

وهي سبعة تراكيب؛ ستة منها فعلية تظهر أشكال الاعتلال، والسابع تركيب اسمي يـــبرز بوضوح العلة لهذا الاعتلال.

أ- التركيب الأول: "اشف غليلي أيها التاريخ" ركب على عير المعهود في أساليب النداء إذ يبدأ بأداة النداء ثم المنادى وبعدها ذكر الأمر المطلوب من المنادى، إلا أن الكاتب بدأ بالمطلوب وأخر المنادى وذلك لعلتين:

1- أولاهما أنه ليس في حاجة إلى تنبيه المنادى، أو توجيه ذهنه إليه، لكونهمـــا في ســـياق حوار انطلق منذ مدة.

2- ثانيتهما: وهي الأهم: أن الكاتب يريد أن يركز على المقصد ويبرزه أكثر من تركيزه على غيره.

ب- التركيب الثاني: "اسقني بماء الحياة الذي، سقيت منه أجدادي" وهو تركيب فعلـــي فعله متعد بنفسه ثم استعان بحرف الجر "الباء" للوصول إلى التمييز الذي جاء موصوفا وفي ذلـــك

عدة دلالات ستذكر لاحقا. وهو طلب مشروط يظهر وكأن صاحبه يتـــضرع، ليقـــول بـــأني في حاجة إلى شيء بعينه. وهذا التركيب الطويل نسبيا تركيبيا يحمل عدة دلالات منها:

1- أن الماء المطلوب ليس ماء عاديا، يمنع الجسم من أن يجف ولكنه مـــاء يفعـــل ذلـــك ويبعث الحياة دبيبة، تظهر آثارها من خلال أفعال وأقوال تنسجم والدور الحضاري، والإنـــساني المنوط بأي إنسان حي [قلبا وقالبا].

2- أن الوضع الذي يعيشه الكاتب [وهو رمز لكل جزائري يحمل هموم الوطن] وضـــع تردى إلى دركات سحيقة، حتى أصبح وضع أجداده. على ما اكتنفه من قهر وحرمـــان حلمـــا بعيدا.

3- وهو ما يعني أن الخلف تراجع عما كان يصبو ويخطط له السلف.

4- إشارة الكاتب إلى أن التخلي عن المبادئ التي رسمها الأولون، والحيد عن طريقهم هـــو الذي أوصلنا إلى اللاوضع.

5- وبعبارة أدق أن النار صارت رمادا تذروه الرياح في مختلف الوهاد.

جـــ- التركيب الثالث: "لقد تاه الطريق مني" مركب فعلي سبق بأداة "لقد" وهي مـــع الماضي تفيد "التحقيق"[1] أي أن الكاتب أيقن بأنه ضل الطريق بعد أن تلمس المخرج عبر وجهات متعددة من دون جدوى، وعليه فلا مناص من هاد ودليل. لذلك يقر بهذه الحقيقة عساه يفلـــح في دغدغة مشاعر التاريخ.

د- التركيب الرابع: "لم أعد أبين" توكيد لإضاعة الطريق، ونتيجة حتمية له وهو تركيب سبق بالأداة "لم" وهي "حرف نفي وجزم وقلب"[1]

وكأنه يريد أن يقول بأنه فقد القدرة على التمييز، فقدها بعدما كان يمتلكها "لم أعـــد" ثم جاء الفعل "أبين" وهو فعل مضارع يدل على لحال لأن الانطلاق من الماضي نحو المـــستقبل يمـــر بالضرورة عبر الحاضر، وهذا الحاضر هو الذي يعنيه الكاتب. وهو أمر منطقي فكل من تاهت منه

1- ملخص قواعد الإعراب، فؤاد نعمة، ص150.

الطريق - مطلق- الطريق يفقد القدرة على فرز المسالك، صحيحها من خاطئها، وقريبـــها مـــن بعيدها، وهاديها من مضللها.

وبعد هذه الشكاوى المصحوبة بأنات صاخبة، يعود الكاتب يسأل التاريخ ظاهرا- وباطنا يسأل نفسه- عن الذي جعله يهجر نبع الحياة [التاريخ دروسا وحكما] وكأنـــه يـــتملص مـــن المسؤولية بدليل أنه تساءل فيما إذا كان واحدا من اثنين. التاريخ [فهل حولت عني منبعـــك] أو سنوات الجمر [أم حولتني عنه حبلى السنين] وهو في الحالتين مفعولا به أي مجني عليه، لا جـــان. وهذا التملص في هذا الموقف بالذات تملص مغفور لان الكاتب بصدد الاستعطاف والصراخ وكأنه يقول: مادمت ضحية فأنا أهل للشفقة، وبالتالي من الواجب أن تأخذ بيدي، وتخرجني من هـــذا المستنقع الآسن.

ويختم كل هذا الاضطراب بزفير أشبه بشهقة الموت. وهو زفير المتحسر الحزين عما آل إليه الوطن والإنسان والتاريخ، وهو علة تلك الاعتلالات [ما أتعس هذا الزمان الذي حولني عنـــك] ثلاثة يشكلون حياة إن تآلفوا وتحالفوا، ويصيرون عناوين لحكايا حزينة إن هم تفرقوا واختلفـــوا، ومع كل أسف إنه الوضع القائم." ما أتعس هذا الزمان" هذا الزمان إشارة إلى القريب وهو الوقت الراهن- الذي يعيشه الكاتب- هذا التذمر والتأفف من الزمان كان بمثابة "الحجر الصغير" الـــذي بارح مكانه من السد لينهمر الماء تباعا حتى أحدث طوفانا، الشأن نفسه حدث للتاريخ، بحيـــث تدفق بعدما كان شحيحا بمجرد أن أعاب الكاتب الزمان وعلق عليه كل الأخطاء

منذ هذه اللحظة جرى حوار بين التاريخ والكاتب حدد وبدقة مواطن الـــداء، ومكـــامن الوهن، ومزالق الأقدام، ولوثات الفكر، وكان الفضل الأكبر للأديب لأنه كـــان في كـــل مـــرة يستقصد المفصل، وبعبارة أدبية كان يعرف كيف تورد الإبل. وبدأ الحوار الكاشف منذ أن رفض التاريخ زعم الكاتب بتجني الزمان وهرى بأن ذكره بما يقوله الأجداد. العيب في الإنسان ولـــيس في الزمان. ولما أدرك الكاتب بأن الفرصة ثمينة استغلها بمجموعة من أسئلة تفرعت عـــن ســـؤال

---

[1]- مغني اللبيب، ج1، ص305.

جامع: "من هم أجدادي"؟ و لم ينتظر إجابة، بل أردف يقول: "لقد تعددت انتماءاتي" "وتعـــددت أبجدياتي فاختلطت حياتي"، "فما عساني أن أتكلف وتأبى قدراتي؟ " فهذا أمر حير فكـــري وذاتي" وجفت دونه دواتي وأعجز قلمي عن خط كلماتي وافقدني ذكرياتي وكاد يمحو بصماتي فانا اليوم لم أعد أفرق بين عداتي وهداتي [أجبني أيها التاريخ أين أجدك ألا تسمع آهاتي؟].

وهي كلها مجموعة من الأسئلة أربعة منها صريحة من هم أجدادي؟ فما عساني أن أتكلف وتأبى قدراتي؟ أين أجدك؟ ألا تسمع آهاتي؟ والبقية جاءت على شكل انشغالات ولكنها تطلـــب الفهم والعلم واليقين ولكل نموذج من الأسئلة صريحة وغير صريحة دلالات عامة كما لكل سؤال أو انشغال دلالات خاصة.

أ- الأسئلة الصريحة: جاءت على الشكل المباشر لأنها المقاصد الكبرى أي هي أصل كـــل شيء: الأجداد، الأبناء، التاريخ، الأوضاع وهي كما نلاحظ أس المخاض الذي جـــاء في قالـــب حوار بين الأزمنة والرؤى والأمكنة أي أن كل هذا الحوار يدور حول هذه العناصر المذكورة وما أصاب كل عنصر منها والأسباب الحقيقية الكامنة وراء الأزمة.

ب- الأسئلة الضمنية: لم تكن صريحة وجاءت على شكل تشريح للوقائع لكنها في كـــل مرة تطلب وبجدة إجابة إن لم تكن إجابات تبرر وضعها الذي هي عليه أي أن هـــذه الأوضـــاع مجتمعة هي التي شكلت سديما بين الكاتب وبين العناصر السالفة الذكر (الأجداد، التاريخ،الواقع الأبناء) وتبدو هذه الانشغالات من الوهلة الأولى، وكأنها تفرعت عن الأصل، غـــير أن المـــتمعن يدرك أن الكاتب بدأ من حيث كان يريد أن ينتهي ثم عدد المشاكل الفرعية الـــتي أدت بـــسبب اجتماعها إلى هذه الأزمة، وفي ذلك دلالة على أن الكاتب يركز على النتائج حين يريـــد لفـــت الانتباه إلى المسببات شأنه شان المعلم الذي يقرّع فاشلا بأن يبدأ بإبراز المحـــصلة النهائيـــة وهـــي الفشل، والتي نتجت عن أسباب متعددة كالغياب المتكرر، وعدم الانتباه أثناء الـــدرس، وإهمـــال الواجبات، وغيرها أما دلالة كل سؤال على جدة فيمكن استخلاص ما يلي:

1- التركيب الأول: "من هم أجدادي"؟ تركيب اسمي استفهامي تشكل من مبتدأ وخـــبر ولكنه يحمل دلالات عميقة منها:

أ- أن الكاتب ومنه كل جزائري فقد الصلة مع ماضيه ومن لا ماضي له لا حاضـــر لـــه وبالضرورة لا مستقبل له.

ب- استقصد الماضي سعيا للتخلص منه والانسلاخ عنه وكل انسلاخ عن الماضـــي هـــو مسخ للأفراد ومسخ للأمة ومقوماتها.

جـــ- استفهام ينبئ أن الأزمة أعمق مما يتخيل، بحيث أصابت المقاتل.

د- سؤال يوحي بان صاحبه يعاني معضلة فقدان الهوية والانتماء.

2- التركيب الثاني: "لقد تعددت انتماءاتي" تركيب فعلي يوحي بكثرة تواتر الفعـــل، أي أن الانتماءات تهاطلت عليه في كل مرة ينسب إلى جهة معينة، وذلك دليل على:

أ- أن الجهل بالأجداد نابع من كثرة ادعاءات الانتماء، وبالتالي فلا رسو على بر مادامت العواصف تهب من كل واجهة وصوب.

ب- تعدد الأصوات وانشقاق المصوتين في كل مرة حول الانتمـــاء الحقيقـــي والانتمـــاء الدخيل (الصراع حول الثوابت: عروبية امازيغية، إسلام...).

جـــ- هشاشة البناء الفكري: وضحالة الرصيد الحضاري وغياب الوحدة الثقافية.

3- التركيب الثالث: "تعددت أبجدياتي" وهو تركيب فعلي فعله "تعدد" مزيد بواســـطة التضعيف وهو ما أعطى للفعل معنى المطاوعة، ويعني به سهولة حصول ما بعده، وما بعـــده هـــو "الأبجديات" دليل على تعدد الألسنة د اخل المجتمع الواحد، وهو الذي فرق الفكر، وشتت الولاء، وعدد الانتماءات.

4- التركيب الرابع: "اختلطت حياتي" تركيب فعلي فعله ماض دلالة على حدوث الأمر وانتهائه واختلاط الحياة يعني بها تسرب الفوضى إلى الحياة ليعيش صـــاحبها في هـــرج ومـــرج وينشغل بالتوافه عن العظائم إلى أن ينسى أصله أولا، ثم ينسى نفسه أخيرا.

5- التركيب الخامس: "فما عساني أن أتكلف وتأبى قدراتي؟" هو استفهام ينم عن العجز واليأس ليدل على أن السائل في الرمق الأخير من العمر، و لم تبق إلا شهقة أخيرة ليلفظ أنفاسه بسبب التعب والنصب الذي أصابه جراء الأحداث السابقة الذكر.

6- التركيب السادس: "فهذا أمر حير فكري وذاتي" دليل على عمق ما يعانيه الكاتب جراء الأزمة المعيشة فهو يعاني فكرا ووجودا، وهذا النوع من المعاناة أشبه بالسم الذي ينتقل سريعا داخل أجهزة الجسم ليعطلها إن لم يقض عليها وتعجز دونه كل الحيل.

7- التراكيب: "وجفت دواتي " "وأعجز قلمي عن خط كلماتي" و"أفقدني ذكرياتي" و"كاد يمحو بصماتي" كلها تراكيب تدل على آثار تلك الأزمة على الكاتب، حيث شلته ماديا وفكريا ليتحول إلى كائن ليس له اسم ولا أرض ولا وطن ولا عنوان. وما أصعب أن يعيش المرء بلا وطن ولا عنوان!.

8- "فأنا اليوم لم أعد أفرق بين عداتي وهداتي" دليل على الخطل الفكري الذي أصابه إلى أن تحول إلى فاقد لقدرة التمييز بين الصحيح والخاطئ، و بين القريب والغريب، ولعمري إنها الطامة الكبرى.

هذه الأسئلة التي جاءت دفعة واحدة، والتي تدل على حرص الكاتب على مناقشة المواضيع الحساسة من جهة ومن جهة، أخرى تدل على مدى الحيرة التي كان يعيشها، بحيث لم يتمالك نفسه، و لم يستطع السيطرة عليها، لأن تسأل عما يشغلها وفق منهجية المرحلية، لأن هذه الأخيرة يفقدها الإنسان في غياب الهدوء والسكينة. أقول هذه الأسئلة تكررت بمحتواها وخضعت لمنهجية محددة. حينما أنس الكاتب من التاريخ تجاوبا، ثم استمر الحوار، حيث كانت إجابات التاريخ في كل مرة تفتح للكاتب أفقا جديدا، وآخر أوسع مما كان يرى. ويبدأ التاريخ الإجابة عن آخر سؤال، عوض أن يجيب عن أول سؤال، وفي ذلك دلالات سنشير إليها بعد حين.

"ستجدني أمامك ووراءك، وعن يمينك، وعن شمالك، وفي كل وجهة أنت موليها" هو تركيب فعلي سبق بحر ف السين أولا وجاء طويلا ثانيا.

1- أما كونه بدأ بحرف السين فذاك ليدل على القريب بحيث أن اتصال السين بالمضارع يجعله "يدل على القريب"[1]، أي بعد فترة قصيرة "تجدني" فترة تزول فيها الغشاوة بعد أن أزيل عنك الحيرة والغمة. وهي فترة لن تطول مادامت الإجابات جاهزة.

2- وأما الطول فهو مقصود، أي أنه أراد أن يحاصره فهو ذكر أولا الأمام والوراء واليمين والشمال لأنها الاتجاهات التي تخطر آليا على بال كل مهرول، باحث أو هارب، ثم أضاف "كل وجهة أنت موليها" لأن الكاتب حين يعزف عن هذه الجهات، قد يفكر في وجهة "ما" لعلها إلى الأعلى، أو إلى الأسفل أو إلى جهة افتراضية. هذه الإضافة تسد أمامه كل المنافذ الممكنة والمستحيلة، الواقعية والخيالية هذا الحصار له عدة دلالات لعل أهمها:

1- أن التاريخ لم يفارق هذا الوطن، ولا عاش، الأجداد من دونه، فهو الفراغ الذي وجد لاحتواء المادة، ولافراغ من غير مادة ولا مادة من غير فراغ كما يقول الفيزيائيون.

2- لفت الانتباه إلى أن كل فكرة، وكل خطوة، وكل فعلة، هي لبنة من لبنات التاريخ، وبالتالي لا يجب أن ننسى أو نتناسى، أو ننكر إن سجل التاريخ علينا هناتنا وأخطاءنا.

3- أن الذي تعيشه تاريخ، تاريخ وكفى، وسيحكم غيرك إما له وإما عليه، وبعبارة أدق: "أنت تاريخ وتعيش تاريخا، وتصنع تاريخا" أما التاريخ هو أنت، فقد وجدت فيه، ووجدته من قبلك فلا تحاسب عليه. وأما التاريخ الذي تعيشه؛ فأنت واحد من حراسه، أو واحد من الحانقين عليه. وأما التاريخ الذي تصنعه. فأنت من أبرز الذين يوقعون للمصادقة عليه. ويواصل التاريخ التعريف بنفسه بعد أن يستوضحه الكاتب فيقول: "أنا معلم يرشد كل من سار على الطريق" "أنا منارة تنجي كل غريق". "أنا ينبوع متدفق لا يعد مني حين يظمأ الرفيق" "أنا جدول رقراق يشنف الآذان فتستفيق، أنا من عمر هذه الأرض أيها الصديق" "أنا من يحمي ذاكرة الأمة حين يتنكر للورد العليق" "أنا ثابت ثبوت الرواسي" "أنا شامخ شموخ جرجرة والونشريس والأوراس" "فاسأل الطاسيلي يحدثك عني" "واسأل الهقار فهو أحد حراسي".

---

[1] - ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمة، ص150.

ولأنه بصدد التعريف بنفسه، فإنه استغل المناسبة ليظهر مدى اعتداده بنفسه من جهة ويركز على الأخطاء المرتكبة في حقه في قالب التقريع. ولذلك نجد معظم التراكيب بدأت بالضمير "أنا" ويكررها في كل مرة. وقد جاءت من هذه التراكيب ثمانية تراكيب اسمية تبدأ جميعا بالضمير "أنا" وتركيبان فعليان جاء بهما في آخر الكلام كنوع من التدليل على الكلام الذي ذكره عن نفسه. ولنأخذ كل تركيب بالدراسة بنية ودلالة.

1- التركيب الأول: "أنا معلم يرشد كل من سار على الطريق" تركيب اسمي على شكل: مسند إليه مفرد + مسند مفرد+ صفة جملة فعلية. وكان يمكنه أن يأتي بالصفة على صيغة اسم الفاعل، ولكنه صاغها فعلا مضارعا وذلك للدلالة على استمرار عملية الإرشاد كلما سئلها.

- أن الإرشاد لا يوجه إلا للذين يسيرون على الطريق الصحيح، ولا يحيدون عنه والطريق هنا هو الاهتمام بالتاريخ وإعطاؤه الأهمية الأولى، وفي ذلك إشارة للذين أهملوا التاريخ، أو نادوا بإهماله والتخلي عنه.

2- التركيب الثاني: "أنا منارة تنجي كل غريق" تركيب اسمي على شاكلة سابقه: مسند إليه + مسند موصوف بجملة فعلية فعلها مضارع متعد. غير أن المتعارف عليه أن المنارة معلم يسترشد به الناس المسالك والمرافئ. ولم تكن أبد ا منقذا من الغرق، فلماذا استخدمها الكاتب هذا الاستخدام؟ إن في هذا الاستخدام دلالات عميقة منها:

- أن المتخلي عن التاريخ أشبه بالذي فقد قارب النجاة وبقي يتخبط وسط أمواج متلاطمة، يسبح حتى يتعب دون أن يجد شاطئ الأمان، كذلك الذي أهمل التاريخ، أو لفظه التاريخ فإنه يعيش الغرق الفكري، ولا يجد منارة يستهدي بها طريق الخلاص.

- في لفظة "منارة" نستشف الصمود والمقاومة من جهة، ومن جهة أخرى نستشعر النور والأمان.

3-التركيب الثالث: "أنا ينبوع متدفق لا يعدمني -حين يظمأ- الرفيق" تركيب اسمي على الشكل: مسند إليه مفرد (ضمير المتكلم كما في سابقيه) ومسند مفرد موصوف بصفتين.

الصفة الأولى: "متدفق" وجاءت على صيغة اسم الفاعل على عكس التركيبين السابقين لأنها على وزن "متفعل" وهي تفيد كثرة حدوث الفعل أي المبالغة في الفعل[1]، وذلك دليل على أن التاريخ دائم الهداية، ودائم الحماية، ودائم الحضور.

الصفة الثانية: جاءت في شكل جملة فعلية فعلها مضارع منفي، ونفي النفي إثبات، وقدم المفعول به لكونه ضميرا اتصل بالفعل وذلك بغية إبرازه، وقطع بينه وبين الفاعل المتأخر وجوبا بشبه جملة ظرفية وفي ذلك دلالة مقصودة وهي: أن قيمة الشيء لا تظهر بالقدر الكافي إلا حين نكون في أمس الحاجة إلى هذا الشيء، وبالتالي فكل من تجده وقت الشدة هو نعم الصديق وأخلص رفيق.

4- التركيب الرابع: "أنا جدول رقراق يشنف الآذان فتستفيق" مركب اسمي مثل التراكيب السابقة، يبدأ بالضمير "أنا" ليجعل منه المسند إليه ثم يخبر عنه بمسند مفرد أيضا وموصوف كسابقيه، وموصوف بصفتين؛ الأولى مفردة "رقراق" و لكنه حين أحس أن هذه الوصف لا يفي بالغرض أضاف صفة للصفة وكأنه أراد أن يقول: "ليست رقرقة جدولي كأية رقرقة مثيرة للمتعة فحسب، ولكنها متعة وفائدة، وتكمن فائدتها في كونها تثير انتباه السامع لعله غفا أو سها فينتبه، وبالتالي يتمسك من جديد وبقوة بعروة التاريخ، فهي -أي الرقرقة- بمثابة البوصلة التي تنبه المسترشد بها كلما زاغ بصره، أو شرد ذهنه، أو انحرف مساره.

5- التركيب الخامس: "أنا من عمر هذه الأرض أيها الصديق" تركيب اسمي آخر ولكنه يختلف عما سبقه شكلا ودلالة:

أما شكلا فقد جاء المسند فيه جملة موصولة "من عمر هذه الأرض" ثم جاء بالنداء في آخر التركيب بدل البدء به، كذلك جيء بالمفعول به بدلا من اسم إشارة وفي ذلك دلالات.

وأما دلالة فيمكن استخلاص ما يلي:

1- النحو العربي، د/ إبراهيم إبراهيم بركات، ص490.

- "من عمر"، استخدام اسم الموصول العام "من" للدلالة على أن التاريخ مطلق التـــاريخ والمقصود هنا بالتاريخ الأحداث النيرة سواء في الحاضر أو في القديم أو فيما قبله كان دائما حاضرا و لم يهمل أبدا، فكان وكانت عمارة هذه الأرض.

- الإشارة إلى الأرض "هذه الأرض" دلالة على أن الأرض المقصودة هي أرض الكاتب ليدرك بأن الذي يعيشه الكاتب وتعيشه أرضه، ويعيشه قومه غريب غرابـــة اختفـــاء الـــشمس في رابعة النهار.

- تأخير النداء إثبات للوجود، وتقريع على الجحود؛ أي هو التركيز على الأمـــر المـــراد من النداء أكثر من المنادى.

6- التركيب السادس: "أنا" من يحمي ذاكرة الأمة حين يتنكر للورد العليق" تركيب اسمي آخر جاء فيه المسند إليه ضمير المتكلم، أنا أما المسند فجاء جملة موصولة فعلها مضارع دال علـــى الاستمرارية اللامنقطعة وذلك لوجود القربية اللفظية "حين يتنكر" أي كلما يحدث نكران فانـــا موجود للحماية ثم من الذي يتنكر؟ إنه العليق وهو اسم على مسمى أي، انه يعيش متعلقا بغـــيره ولا يمكنه أن يعتمد على نفسه، وهو رمز للضعف، والدونية، ولمن يتنكر؟! إنه يتنكر للورد! ومنذ متى أنكر الورد، ومن ذا الذي يتنكر له؟!.

وفي ذلك دلالات كثيرة منها:

- أن الزمن المعيش [الذي تدور حوله هذه الأحداث] زمن العجائب والغرائـــب، لأنـــه الزمن الذي تطاول فيه الوضيع على الشريف، وساد فيه الذي "لا يدري بأنه لا يدري" واستهجن فيه سلوك الشريف الأصيل، وبعبارة أخرى إنه الزمن الذي طاولت فيه الأرض السماء مـــن دون تسفيه وعير فيه قسا بالفهاهة بأقل، ووجد من يجاريه. وقال فيه الدجى للصبح لونك حائل فكيف تداريه في هذا الزمن وفي غيره التاريخ موجود لحماية الذاكرة الجماعية للأمة.

7- **التركيب السابع:** "أنا ثابت ثبوت الرواسي" تركيب اسمي على شاكلة التراكيب التي سبقته إلا أن الخبر فيه وصف بالمفعول المطلق المضاف إلى "الرواسي" والرواسي هي الجبال المتجذرة مكانا وزمانا وفي ذلك دلالات منها:

- أن التاريخ صناعة أنتجتها على مر الحقب والأعراق الجبال وفي ذلك رمز للحروب التي خلدت أمجاد الأمم، ولنا في مجد الأمة الإسلامية العبر الكثيرة.

- مهد بذكر الرواسي من مبدأ البداية بالعام فالخاص وما بعدها يفسر هذا التعميم.

8- **التركيب الثامن:** "أنا شامخ شموخ جرجرة والونشريس والأوراس" تركيب اسمي على الشكل: مسند إليه مفرد + مسند مفرد+ صفة.

المسند إليه دائما الضمير "أنا" والمسند "شامخ" وهو على صيغة اسم الفاعل "فاعل" التي تدل على الحدث والحدوث وفاعله[1] وفي ذلك عدة دلالات ستذكر لاحقا.

ثم إن المسند جاء موصوفا بمصدر الفعل الذي اشتق منه المسند (مفعول مطلق) وأضيف في كل مرة إلى اسم جبل و لم يكرر المفعول المطلق مع أنه عطف بحرف الواو وهو ما يعطي الحق في التكرار، أي انه كان يمكنه أن يقول: شموخ جرجرة وشموخ الونشريس وشموخ الأوراس ولكنه قال: "شموخ جرجرة، والونشريس، والأوراس" وهذا الحذف من ورائه دلالات ذات مغزى كبير نذكر منها:

1- أخبر باسم الفاعل للدلالة على الإباء والعزة فهو، لا يقبل أن يكون مفعولا به، ومن شيم الكرام المبادرة لأن يوصفوا بالفاعلية لا بالمفعولية.

2- ذكر جبالا معينة لأنها ذات رموز مقدسة في الذاكرة الجماعية للأمة.

3- حذف المفعول المطلق في المواقع المشار إليها سابقا ليسوي بين الجبال في الشموخ.

فقد خيف أن يظن البعض أن لكل جبل شموخا يختلف عن شموخ الآخر زيادة أو نقصانا وهو في الوقت نفسه رسالة مشفرة لمن ينادى بالتمييز بين جهات الوطن، ويشكك في وطنيتها

1- النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، ج3، ص478.

وثوريتها بل تعداها إلى النداء بالفصل والانشقاق. ويؤكد هذه اللحمة بين أبناء الوطن- وهـــي لحمة قديمة- بأن يعرض إلى ذكر جبال صنعت التاريخ ناصعا في الجنوب، حتى يكتمل فسيفـــساء اللوحة الواحدة إذ يقول: "فاسأل الطاسيلي يحدثك عني، واسأل الهقار فهو أحد حراسي".

وهما التركيبان الفعليان الوحيدان اللذان ذكرا في آخر الإجابة، وقد أوردهما التاريخ وهو بصدد التوكيد، وتوكيد الكلام الذي قاله عن نفسه، وإذا تكلم التاريخ فمعنى ذلك أن الجزائـــر هي التي تكلمت، وقد ذكرهما في شكل نوع من الاستشهاد على ما يقول، أي كأني به يقول: إذا لم تصدقني فيما قلت فلك أن تتبين من هذه الجبال حيث تجد المآثر المذكورة مخلدة لا تزال تصرخ بملء فيها:

قهرنا الأعادي في كل واد فلم تجدهم طائرات العماد

ولا الطنك ينفعهم في البواد فباؤوا بأشلائهم خاسرين

بعد هذه الإجابة التي أزاحت الكثير من الغموض تتفتح شهية الكاتب للمزيد من المعرفـــة فيواصل أسئلته التي تضطرم بداخله، وهذه المرة ينتقل إلى الوجه الثاني من العملة (الأمة) بعـــدما تعرف على وجهها الأول (التاريخ) حتى تكتمل الصورة في ذهنه، وتترسم نيرة المعالم الـــشكلية والمعنوية فيسأل: ماذا عن أمتي؟.

هو سؤال عن الحاضر، بعدما عرف الماضي صانعا ومصنوعا (الأجداد والتاريخ) وقد ورد بعد أن قال: بدأت أتبين الطريق....الأرض....المعالم مما يدل بان الكاتب ما تزال أشياء تحجـــب عنه الرؤية طالما أنه يعيش وضعا متميزا فراح يسأل وكأنه يقول: إذا كان الذي قلته صحيحا فما الذي أصاب أمتي في الوقت الراهن؟!.

فيواصل التاريخ سرد أخباره، واضعا في كل مرة النقاط على الحـــروف الـــتي لم يتبينـــها الكاتب ويجيبه في ستة تراكيب طويلة كل تركيب أشبه بالعبارة لأنه في كل مرة يعدد الـــصفات الحميدة التي أوثرت على الآباء والأجداد.

1- التركيب الأول: "إن أمتك من معدن أصيل صقلته الأحداث فزادته صلابة ولمعانـــا" تركيب اسمي يبدأ بـــ "إن" وهي تفيد التوكيد، وبالتالي فقد بدأ بالتأكيد على أن الأمة الجزائريـــة إبنة شرعية لأمة ذات تاريخ وأمجاد صنعتها على مر الأزمنة بقوة الحديد والنار، وأنها أمة عرفـــت بالصمود في وجه الأحداث ومغالبة الأعادي، وكل من كان هذا شأنه لا ينجب إلا شهما مثله.

2- التركيب الثاني: "تكونت شخصيتها وفقا لثوابت ومقومات؛ منها ما اختارته ومنـــها ما ورثته" هو تركيب فعلي طويل نسبيا، وهذه الإطالة متعمدة من جهة، وضرورية من جهة ثانية.

متعمدة لأنه تجنب الوصف بالمفرد، واستخدم الجملة الاسمية في شكل شبه جملة إذ حذف المبتدأ وذكر الجار والمجرور المتعلقين به. وضروري لأنه جاء بالحال مضافا وعطف عليـــه بنكـــرة فاستلزمه ذلك متمما. والقصد من وراء ذلك مجموعة من المرامي منها:

أ- بدأ بالفعل الماضي "تكونت" للدلالة على تأصل، وتجذر ما يصبو لذكره، أي أن الأمر الذي سأذكره ليس بالجديد على أمتك.

ب- أن هذا التكوين، لم يكن أبدا من غير دعائم، وإنما كان متماشـــيا ومـــا وثوابـــت ومقومات معروفة ومدروسة.

جـــ- كانت لديها القدرة على الاختيار؛ اختيار ماينا سبها سواء من ماضـــيها، أو مـــن حاضرها، وبعبارة أخرى، فإنها كانت دائما مسؤولة على تكوين شخصيتها باختيارها السيد.

د- والدلالة الأعم هي أن أمتك عاشت دائما حرة، حرية مادية وفكرية، وإلا لما أمكنـــها التمعن والتمحيص ثم الاختيار.

3- التركيب الثالث: "فصار لها انتماء وصارت لها هوية" تركيبان اسميان معطوفان علـــى بعضهما يبدوان وكأنهما تركيب واحد، وذلك لأن الانتماء يستلزم الهوية ولذلك أدرجـــا علـــى أنهما تركيب واحد وخاصة وأنهما منسوخان بالناسخ نفسه، وصيغ هذا الناسخ في الزمن الماضي مع كليهما وعليه اعتبرا تركيبا واحدا، وجاء التركيب المعني على هذه الشاكلة للدلالة على:

أ- أن الانتماء والهوية المتخاصم بشأنهما اليوم، بل المتقاتل بسببهما قد فصل فيهما منذ أزمنة سحيقة؛ وبالتالي فالخوض فيهما الآن مجرد هرطقة وذر للرماد.

ب- أن الأزمة الجزائرية شأنها شأن كل الأمم العريقة التي ولدت ولادة شرعية بعد أن مرت بكل المراحل - دون حرق لأية مرحلة - فكانت جنينا ذا ملامح متنوعة، وعانت آلام المخاض، وعسر الولادة مع المتربصين بها من كل الأجناس إلى أن سواها الإسلام، وصقلتها العروبة كائنا أبيا.

4- **التركيب الرابع:** "دافعت عنها على مر الزمان بكل ما أوتيت من قوة الأبدان وشجاعة الفرسان، وحجة البيان، وفصاحة اللسان، ووضوح البرهان"، تركيب فعلي طويل، وطوله راجع إلى تعدد المعطوفات، وهي عملية مقصودة حتى يظهر الكاتب مزايا هذه الأمة، وصفاتها المجيدة، بدليل أن المعطوف يتنوع في كل مرة. وكان يمكنه أن يتوقف عند تمام التركيب "دافعت عنها" إلا أنه أراد أن يؤكد على تأصل هذه الأمة، وتجذرها العميق في رحم التاريخ، فأظهر الظرف الزماني الذي جرت فيه هذه المدافعة، وبين كيفياتها، ووسائلها. ضف إلى ذلك أنه استعمل الصيغة "دافعت" وليس "دفعت" لما للصيغة السابقة من معنى خاص، وهو كثرة الفعل، أي كثرة الدفاع حيث أن الصيغة "دافعت" هنا والتي هي على وزن "فاعل" دلت بالخصوص على الكثرة لوجود القرينة اللفظية "على مر الزمان" وهو ما يؤكد حرصها، وتمسكها بانتمائها وهويتها، بل نجده يؤكد على هذا التمسك الحريص بذكر كيفيات الدفاع وأنواعه، فتارة بالقوة حين تكون قوية، وثانية بالشجاعة، حتى وإن افتقدت القوة، وثالثة بحجة البيان، ورابعة بالكلام الفصيح، وأخيرة بإبراز الحجج والأدلة الدامغة على مشروعية ما تدافع عنه، وحتمية استمراره.

5- **التركيب الخامس:** "وقد متنت عراها الأجيال المتعاقبة، وآخرها جيل نوفمبر، برغم الظروف والمحن التي مرت على هذا الوطن" تركيب فعلي معطوف على آخر فعلي، إلا أن الفعل في الثاني تعدى بنفسه حين زيد فيه حرف، وهذه الزيادة لها دلالة أخرى غير التعدية وهي الكثرة

من جهة، والصيرورة، صيرورة فاعله أصله المشتق منه[1] من جهة ثانية، وذلك دليـــل علـــى أن الفاعل أكثر من الفعل حتى صيره على هذا النحو، والفاعل هنا تأخر ليس لكونه أقـــل أهميـــة، ولكن لطوله، فقدم المفعول به "عراها" لقصره، وكأنه أراد أن يتفرغ للفاعل، فجاء بالمفعول بـــه قبله، ثم ذكر الفاعل مجملا وفصل منه جيل نوفمبر من مبدأ الإبدال الجزئي، ليدل على أن الأجيال منذ الأزمنة السحيقة وهي في عمل متكامل و لم يحدث أبدا انقطاع بينها إلا لظـــروف عـــابرة، ثم تتواصل المسيرة على محور أفقي مستمر و لم تعقه المحن التي توالت والنكبات التي ترامت.

6- التركيب السادس: "وتلك الهوية بكل مقوماتها، هي التي جعلت شخصية أمتك شامخة لا تنحني عازمة لا تنثني، واضحة المعالم؛ أنارت دروب الأحرار في ليل الاستعمار الطويل" تركيب اسمي مصنوع، أي اعتمد تشكيله على هذا النحو بدل أن يكون فعليا، لأن التركيب أصلا هـــو: "جعلت تلك الهوية..." والفعل جعل هنا ليس فعلا للشروع ولكنه يفيد الـــصيرورة والتحويـــل وبالتالي تطلب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر بالإضافة إلى ذلك فإن الكاتب عدد المفعول الثاني على سبيل العطف متخليا عن حرف العطف فظهرت المفاعيل في شكل نعوت، الأمـــر الـــذي جعـــل التركيب يتمدد في كل مرة ليصير شبيه العبارة. ويظهر أن الكاتب مثلما بدأ ســـرد الأحـــداث التاريخية المتتالية بتركيب اسمي يختمها بتركيب اسمي آخر وكأنه يريد أن يـــدلل علـــى أن بـــين الساكنين حركة أو حركات وهو الذي حصل حقا إذ أن البداية في الغالب ما تنطلق هادئة، وهي قانون فيزيائي شهير "الحركة المتسارعة" ثم لا تفتأ تتزايد إلى أن تصل إلى أوجها لتعود متباطئة حتى تسكن الأمر عينه الذي حدث في سرد هذه الوقائع إذ بدأت بـــ: "يا بني إن أمتك مـــن معـــدن أصيل" ثم بدأت تزداد سرعتها بدخول الأفعال وتواليها ثم تبدأ في الهدوء مع التركيب مـــا قبـــل الأخير حين يوضح"... برغم الظروف والمحن التي مرت على هذا الوطن وأخيرا يسكن لأنه أنهـــى ما بدأه بهذا التركيب الاسمي الأخير، الذي صنعه صناعة خدمة لغرض السكون والتوقف.

يضاف إلى كل هذا دلالات أخرى منها:

1- بنية الفعل، دلالاتها وعلاقاتها، أبو أوس إبراهيم التلمساني، ص27.

1- التركيز على الهوية والمقومات وبالتالي بدأ بها الجملة، ويظهر التركيز أكثر حين يشير إليها باستخدام اسم الإشارة "تلك".

2- أن كل ما في أي أمة ذي بال وذي قيمة هو الهوية والمقومات ولذلك أشار إليها "الهوية والمقومات" باستخدام "لام البعد" والذي يفيد هنا "علو المترلة"[1].

3- أن الأمة التي امتلكت هوية ومقومات، هي أمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء يستطيع أن تقف في وجه كل الأعاصير والمحن.

4- الهوية حارس أمين لكل أمة في حلها وترحالها أقصد بأنها تحمي الأمة كلما أصابتها انتكاسات، وتزيدها قوة ودفعا كلما سعت إلى الأمام بغية التطور والازدهار.

5- أن الذي لا هوية له، لا هدف له في الحياة بل ولا شخصية له على الإطلاق، حيث يعيش دون أن يميز بين التحرر والاستعباد، ولا بين الاستقلال والذوبان في أي كيان.

وبعبارة أخرى، فهو كائن يعيش من أجل أن يمارس وظائف حيوية، إن لم نقل وظائف حيوانية. والجزائر أمة امتلكت الهوية منذ أزمنة سحيقة، لذلك ظل أبناؤها يتوقون إلى التحرر، وإلى الاستقلال بهويتهم وانتمائهم منذ أجيال وأجيال، وقدموا في سبيل ذلك قوافل من الشهداء ختموها بقافلة نوفمبر المجيد التي كانت قربانا للحرية والانعتاق من نير استدمار جثا على صدرها فترة طويلة ورهيبة، هكذا ينهي التاريخ إجاباته، وهكذا يطفئ لهب الأسئلة المتطاير من أعين وشفاه السائل، حينها يشعر الكاتب بنوع من الخجل والتقزم، إذ قدر بينه وبين نفسه أن محاوره يضحك منه خفية وهو يردد في داخله كان عليك أن تعرف هذا يا من تدّعي الغيرة والتحرق على أمتك، فيحاول أن يبرئ نفسه من تهمة الجهل حين يسأله في أسلوب ينم على أنه يخبره ببعض ما يعرف ولا يريد الإجابة عن ذلك السؤال حيث يشرع في سرد بعض ما فعلته، وما قالته عن نفسها هذه الأمة في مقطع شعري يتكون من أحد عشر بيت من المتقارب وقد اختار الكاتب البحر المتقارب لخفته.

---

[1] - مغني اللبيب، ج1، ص264.

ومرونته وملاءمته لأي غرض هذه الصفات استغلها الكاتب وهو شاعر هنا لأنه بـصدد الإخبار عما يعرف بسرعة حتى يمحو تلك الصورة السلبية التي كان أخذها عنه التاريخ، وبالتالي يبين بأن جهله عارض وليس متأصلا، أي أن هول الأحداث ينسي الإنسان كثيرا مما يعرف، حتى يشكك في أبسط الأبجديات.

وقد بدأ هذه الأبيات عكس كل البدايات السابقة أثناء حواراته مع التاريخ، حيث غالبا ما كانت البداية متسمة بالهدوء، إلا أنه بدأ هنا مسرعا بدليل أنه بدأ بشبه الجملة في البيت الأول بشطريه وكذلك بدأ البيت الثاني في شطره الأول معلنا على الانطلاقة السريعة التي انعكست على كل الأبيات. إذ أن القارئ لا يكاد يأخذ نفسا عميقا حتى يتنقل إلى الموالي، ليحدث التناغم والتناسق المعنوي، ضف إلى ذلك استخدامه لأفعال توحي بالقوة، والوقع الشديد، فجاءت هذه الأبيات الإحدى عشرة إعادة لما قاله التاريخ نثرا، وإنما الفارق الوحيد بينهما هو الفارق بين النثر والشعر، وهذه الإعادة ليست من أجل التكرار، ولكنها أرادت أن تزف تلك المآثر في موكب يزدهي بمظاهر الفخر والاحتفال تتخلله مظاهر الفانطازيا وقرع الحوافز، والطبول ليوحي الركب بمشاعر البهجة والرهبة وبالتالي يبعد عن تلك المآثر جمود السردية، وفتور الحكاية، ومنه يمسح عليها جو الاستعراض في فيلق حربي تتدافع آلياته، وتصهل خيوله وتصلّ سيوفه، وجاءت الأبيات (الموكب) على النحو التالي:

البيت الأول: "بدرب المنايا تنامى وجودي وفي راجيتها رسمت خلودي" بدأه بشبه الجملة المتكون من الجار والمجرور، والجار هنا هو الباء، والتي أفادت الظرفية[1] وكان يمكنه أن يستعمل الحرف "في" ولكن لما فيه من مد للصوت، فإنه يوحي بالبطء وهو أراد السرعة، فوجد الباء بصوت قصير "الكسر" أسرع وألصق فتعوض بها عن "في" وهو ما يدل على أنه في عجلة من أمره،هذه العجلة التي كانت عاملا أساسيا في البدء بشبه الجملة رغم أن التركيب يكون أسلم "نحويا" حين يبدأ بمركب فعلي، أو مركب اسمي، إلا أنه آثر البدء بغير ذلك للغرض المذكور

1- مغني اللبيب، ج1، ص121.

سالفا وتأتي في المرتبة الثانوية الضرورة الشعرية، التي تبيح البدء بشبه الجملة يضاف إلى العامل الأول عامل ثان مهم وهو إبراز العنصر الأساس المقصود من هذا التركيب وهو "درب المنايا" ليدل به على أن الجزائر نحتت كيانها من جبال الموت متخذة سلاحها إزميلا انصهر خامه من نيران توارث متتالية وأبرد معدنة في بحر من الدماء والعرق والدموع.

ثم نجد الفعل "تنامى" و لم يقل "نما" لأن تنامى على وزن تفاعل وهذه الصيغة من بين ما تفيد فإنها تفيد "حصول الفعل تدريجيا"[1] للدلالة على أن وجود هذه الأمة تم على مراحل اتسمت جميعها بالصراع والمغالبة، ويأتي الشطر الثاني ليؤكد ما جاء في الشطر الأول، ويضيفه معنى آخر، فهو حين يقول: وفي راحتيها رسمت خلودي، فهو توكيد للشطر الأول تركيبا ودلالة؛ أما تركيبا فقد بدأ بالجار والمجرور الدالين على الظرفية مثله، وأما دلالة فإنه يؤكد على مواجهة هذه الأمة للموت، والوقوف في وجهه دون خشية حتى تم لها البقاء، وكأنها حققت المقولة المشهورة (اطلب الموت توهب لك الحياة) بل أكثر من ذلك فإن هذه الأمة لم تغالب الموت لتثبت وجودها فحسب بل أجبرت الموت على الأذعان ليقر لها بالخلود.

البيت الثاني:" ومن وحيها قد كتبت نشيدا يردده الكون يحكي صمودي" تتواصل البداية السريعة حين يواصل البدء بالجار والمجرور، لكن حرف الجر هنا أفاد التبعيض (من) ليدل بان وحي الموت متعدد، والأمة أخذت من هذا الوحي بعضا منه لتكتب به نشيدا، نشيد العزة والكرامة والآباء، ليبقى هذا النشيد عنوانا لها على مر الأزمنة (يردده الكون يحكي صمودي) وقال يردده الكون، و لم يقل يردده الإنسان أو أي مخلوق آخر وذلك للدلالة على أن هذا النشيد المصنوع من وحي الموت أدهش الكون بمكوناته وبالتالي فإن صداه يبقى بتردد ما بقي الكون موجودا وكلما جاء مخلوق آخر حفظ هذا النشيد لينقل بالتواتر إلى الأجيال اللاحقة فتأخذ منه الدروس والعبر وتشحذ من مآثره الهمم.

1- أبنية الفعل، ودلالاتها، وعلاقاتها، ص 63.

البيت الثالث: "أصارع مذ كنت دهرا عنيدا بكبر وصمت كصمت العهود "أضاف القوة إلى السرعة ها هنا ليبدو الموقف مخيفا ومثيرا للرهبة، فالفعل" أصارع" على وزن "فاعــل" وهــذا الوزن من بين ما يدل عليه فإن يدل على المشاركة، والمشاركة هنا في عمل عنيف، لان الــصرع موح بالشدة أما أصارع فهو يدل "على المشاركة"[(1)] من جهة ويدل على استمرار العملية لوجود القرينة اللفظية (مذ كنت دهرا عنيدا) ثم يضيف إليها في الشطر الثاني الطريقة التي كان على منوالها هذا التصارع فيقول: "بكبر وصمت كصمت العهود" فهو يعني أن هذه الأمة حين كانت تقاتــل وتقف في وجه الموت، وترصده هي بدل أن يترصدها، فإنها كانت تفعل ذلك بعزة وشرف بعيدا عن الخوف والتذلل، لأن الذي صفاته هذه الأخيرة فإنه يكثر من اللغط والصراخ والعويل، أما من يقاتل في سبيل شريف وعن قناعة تامة، ويسعى وراء الموت يترصده عساه يأسره ليثبت وجــوده فالأكيد أن شيمته الصبر، والصمت وأي صمت؟! إنه صمت الأزمنة التي لا تبوح أبدا بما جــرى بها من أحداث.

ثم إن الفعل "أصارع" يتطلب مفعولا به حيث أن ألف المشاركة تعديه، إلا أنه لم يذكر المفعول به هنا، هذا الحذف أعطى دلالات عميقة إذ أن تحديد المفعول به معناه تحديد للمتصارع معه، وما دام أنه ذكر فقد عرف، وحين نعرف قد تزول كثير من المخاوف على خلاف جهلنا للطرف الثاني (العدو) الذي نصارعه فإنه كلما خفي كلما تضخم وتعملق، وبالتالي فإن فرص غلبته قليلة، بل أن من يواجهه لا يكون إلا بطلا أسطوريا أو برومثيوس[(2)] زمانه.

البيت الرابع: "أعانق حرفا وسيفا وحلما، أشق مدايا أجلّي حدودي" تشكل البيت مــن تركيبين فعليين متعديين، وذلك مؤشر على استمرار مظاهر القوة والثورة، إلا أننا نشعر من خلاله بنوع من الاستدراك لبعض الأشياء الهامة. فالشاعر حين أحس بأن الحماس غلبه وجعله يبحــث عن كل مزية دالة على الصمود والثورة، أراد أن يقول بأن أمتي لم تنس الجانب المعنــوي حــين

---

[1] - أبنية الفعل، دلالاتها وعلاقاتها، ص36.

[2]- بروميثيوس، إله النار في الميتولوجيا اليونانية، مؤسس الحضارة الإنسانية، اختطف النار المقدسة من السماء ونقلها إلى البشر، فعاقبه زوس وقيده على حبل القوقاس حيث كان ينهش كبده المتجددة باستمرار عقاب كاسر خلصه هيراكليس، أنظر المنجد في اللغة والأعلام، ط39، دار المشرق، بيروت 2002، قسم الأعلام، ص125.

انشغلت بالجانب الثوري، فهي تدرك تماما بان الكيان الحقيقي لأي أمة له ركنان؛ ركن مـــادي وركن معنوي قوامه العلم والمعرفة وبالتالي فإنها لم تهمله رغم صخب المعارك ورائحة الموت الـــتي صاحبتها لأزمنة طويلة، وعبر الشاعر عن ذلك الاهتمام بالجانب العلمي بقوله "أعانق حرفا وسيفا وحلما" فمعانقة الحرف تعبير عن الكل باستعمال الجزء، أراد أن يقول بان الأمـــة الجزائريـــة لم يكن تاريخها اعرج، بل شقت مداها دائما وهي تركز على الجانبين (المـــادي والمعنـــوي) كلمـــا أحاطت بها المحن وأنها أمة تكتفي بما لها مهما كانت قوية، إذ الشريف لا يسمح لنفسه أن يعتدي على غيره مهما كانت موازين القوة، لأنه وببساطة يرفض أن يعتدى عليه وذلك حين قال (اجلي حدودي) أي أظهرها وأزيل عنها ما من شأنه أن يحجبها، وفي استخدامه للفعل أجلـــي دلالـــة القوة، والإصرار.

البيت الخامس:" أجوب الزمان أجوب المكان وفي كل شبر تعالت ردودي" هو تأكيد لما سبقه، تأكيد على التشبث بالأرض، بكل الأرض، ولا يقبل أن يترك أي شبر من هـــذه الأرض دون تحرير ودون تحديد لمعالمه حفاظا عليه واكتفاء به دون غيره. أما الأبيـــات (6، 7، 8، 9، 10) فهي أبيات للتغني بالمآثر التاريخية، والتضحيات الجسام، بل هي إبراز لمدى قوة هذه الأمـــة منـــذ أزمنة سحيقة، وكيف أنها كانت تعيد بناء نفسها من أشلاء حرب ضروس، لتستعد لحرب أخرى أقوى وأخطر من سابقتها، وبعبارة أخرى، فهي تشبه طائر الفينق الذي ينبعث من النار حيا كلما أعتقد بأنه مات فالخيول والصهيل والدوي، والركض، والدك كلها أفعـــال لهـــا دلالات القـــوة والعنف، والإصرار، أما الوميض والتلألؤ، والرعود وبهيم الليل فهي ألفاظ تدل على مدى المحن التي تعاقبت على هذه الأمة دون أن تتوقف، و أما ألفاظ: الفجر، صحن، الوجود يضيء الـــدنا، وراء الغمام الغيث فهي ألفاظ تعابير تدل على مدى تشبث هذه الأمة بالحرية والانعتاق ولا تتـــشبث بها وهي عاجزة أي لا تريد أن تحصل عليها عطاء ولكنها كانت تحصل عليها وتفتكها عن طريق المغالبة، والإصرار، والتحدي، والاستماتة، حتى تحصل على مبتغاها وفي البيت الأخير:

وتمضي السنين بعمري تباعا ويورق دربي بعد جحود

يصل الشاعر في الختام إلى المحصلة النهائية وكأنه يستحضر بيت الشابي حين يقول: هـــو الكون حي يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر. أي أن نتيجة هذه الحروب الطويلـــة، والـــصدامات العنيفة، والليالي الحالكة، نتيجتها جميعا هي الانعتاق، والتحرر، والتقـــدم والازدهـــار، والعـــيش في كنف الطمأنينة والهدوء، كذلك الأسد الذي حرر عرينه من أعدائه، ثم ربض به يرقب مملكته وهي مصونة الحدود، آمنة المرابع.

إذن فالبيت الأخير هو المحطة النهائية لذلك الاستعراض الفانطازي الذي بدأه الشاعر وهو يتغنى بمآثر هذه الأمة وهو نهاية منطقية لكل استعراض للماضي، لينتهي بالحاضر ودلائل المستقبل.

كل هذا الذي حدث يتعلق بالماضي، ومادام التاريخ قد تكلم فإن الشاعر وجدها فرصـــة مواتية ليستمر في مساءلته حول قضايا أخرى تقض مضجعه، وهي قضايا الحاضـــر واستـــشراف المستقبل. فحينما أيده التاريخ فيما قاله عن هذه الأمة "أعرفت الآن معدن هذه الأمة"؟ وجـــدها الأديب فرصة فبادره بالسؤال: كل الذي قلته أنت، و أعدته أنا، كل هذا يتعلق بالماضي، بجميع مكوناته، ولكن الحيرة التي لا تزال تسكنني هي حيرة على الحاضر، وحيرة على المستقبل "أنـــت تتحدث عن التاريخ، وأنا أسأل عمن سيختزل التاريخ وعمن سيسكن المريخ" العبارة مكونة من تركيبين اسميين مترابطين تركيبيا ومتعاكسين دلاليا.

1- التركيب الأول: "أنت تتحدث عن التاريخ"، التركيب الثاني: "أنا أســـأل عمـــن سيختزل التاريخ و عمن سيسكن المريخ" رغم أن التركيب الثاني هو في حقيقته تركيبان مربوطان بحرف العطف "و" إلا أنهما يعتبران تركيبا واحدا طالما كانا بصدد التساؤل الواحد.

- التركيبان مترابطان تركيبيا لأنهما في سياق حديث واحـــد أولا: ومربوطـــان بحـــرف العطف "و"ثانيا.

- أما أنهما متعاكسان دلاليا، فذلك لأن التركيب الأول يتعلق بالماضي، مطلق الماضي،أما التركيب الثاني فيتعلق بالحاضر أولا والمستقبل ثانيا.

يعني أن الفرق بين ما أريد وبين ما قلت أنت، هو ما بين الماضي والحاضر من فـــروق ومن أجل أن يصحح التاريخ لمحاوره هذه المعلومات التي بدت مشوشة ومشوهة، بادره بالإجابة.

"الصعود إلى المريخ يبدأ من إعمار الأرض، وكتابة التاريخ" هو تركيب اسمي محور مـــن تركيب فعلي أصلي، لأن الأصل هو "يبدأ الصعود إلى المريخ من أعمار الأرض وكتابة التاريخ" ولكن التاريخ قدم الصعود إلى "المريخ الذي هو في الأصل "فاعل" ليصير مبتدأ وذلك لأهمية هـــذا العنصر على أساس أن الكاتب يشغله كثيرا أمر الصعود إلى المريخ، فبادره التاريخ مجيبا في موقف الرافض لفحوى سؤال الكاتب، الذي فصل فيه بين كتابة التاريخ وبين الصعود إلى المريخ ليقول له كتابة التاريخ والاهتمام به هي أول خطوة سليمة في مسار الصعود إلى المريخ والدلالات التي يمكن أن نستشفها من هذه العبارة "الصعود إلى المريخ" كثيرة منها:

1- التقدم العلمي والتكنولوجي.

2- الخروج من دائرة البحث الدائم وراء سد الحاجيات الاستهلاكية.

3- قهر الفقر والتخلف قصد الالتفات إلى المستقبل بعيون وثابة.

4- طي الخلافات المصطنعة (سياسيا ومذهبيا وعرقيا)والاهتمام بالبناء الفكري والثقـــافي القويم.

وبعبارة أخرى فإن التاريخ أراد أن يخبر محاوره بأن الطيران، لا بد له مـــن أرض صـــلبة (منصة) أولا، وأجنحة ثانيا وإلا فإن عملية الطيران مجازفة فاشلة، وخيمة العواقب؛ وما المنصة إلا كتابة التاريخ ومعرفة دقائقه، وما الأجنحة إلا الدروس والعبر التي نستخلـــصها مـــن إيجابياتـــه وسلبياته. ثم يترجم الكاتب عبارة "إعمار الأرض" التي ذكرها محاوره يترجمها إلى الثقافة في سؤال غير بريء، لأنه أراد أن يعرف بماهية الثقافة على لسان التاريخ (وهل للثقافة دور في كل ذلـــك)؟ ليجيبه التاريخ بالإيجاب، ثم يشرع في شرح مفهوم الثقافة ليقول بأنها: روح أي كيان، وكل أمـــة تسعى لأن يكون لها كيان، فهي بالضرورة تسعى إلى كيان مكتمل، أي تسعى إلى وجود مـــادي يستمد قوامه من كيان روحي، تختاره هي لا يختاره لها غيرها.

وهذا الكيان الروحي هو الذي يعطي للكيان المادي قيمته ووجوده واستمراره، لاحظ حين يقول: (نعم في كل ذلك، وما وراء ذلك، وأكثر من ذلك، فهو يحمل الإجابة للسؤال، وهل للثقافة دور في كل ذلك) ثم يبدأ بالتفصيل فيقول: "فالثقافة هي أسلوب تفكير "،"ونمط حياة" "ومقوم وجود" (فهي أهم ما يجسد تاريخ الأمة، ويؤكد انتماءها وتواصلها الحضاري) نجد هذا التفصيل ورد في أربعة تراكيب اسمية:

التركيب الأول على شكل: مسند إليه اسم ظاهر + مسند مفرد مضاف وجاء بضمير الشأن "هي" للتوكيد ثم حذف المسند إليه في التركيبين الثاني والثالث وذكر المسند فقط (نمط حياة) "ومقوم وجود "لأن المسند إليه معروف فبدا وكأن المسند تعدد في تركيب واحد، ولكنها تراكيب مستقلة .أما في التركيب الرابع فذكر المسند إليه حرصا على إبرازه خشية أن ينسى في خضم هذه التراكيب المذكورة.

وقد ذكر هذه المقومات أولا ليبين أهميتها وقيمتها في بناء أي كيان وهو السبب الذي يجعل كل عدو يستهدفها فيها حتى يتركها جسدا بلا روح، ومن ثمة يستطيع أن ينفخ الروح التي يريد، ليحولها إلى مسخ، ثم يبين أشكال المسخ والأهداف التي يسعون إلى تحقيقها وهي على الأخص: قطع الصلة بين الحاضر والماضي وإعادة تشكيلها وفق أهداف إستراتيجية تخدم مبتغاهم وهي إجمالا الحصول على دمية، ترضى بأن تكون دمية، وترضى بأن تلعب أدوارا مختلفة في مسرحيات تهريجية مختلفة، ليقال بأن من صالحها أن تتحرر، وها هو ثمن التحرر وكل هذا ورد في قوله: "ولذلك فإن أول شيء يقوم به أعداء أية أمة هو ضرب الكيان الثقافي، ومن خلاله ضرب شخصية الأمة في مقوماتها التي تحصنها حتى إذا أفرغوها من محتواها أعادوا صياغتها وتشكيلها وفق برامجهم و أهدافهم التي تمليها ثقافتهم" وقد أدرك الأعداء بان السبيل الأوحد الذي يحقق هذا المبتغى، هو سبيل التشكيك في الماضي، وتشويهه ليبدو لأهله عبئا ثقيلا وجب التخلص منه، الأمر الذي يجعل منهم هدفا سهل المنال، حين يرضون بالبدائل المعروضة عليهم، وهي بدائل تحمل سمها في دسمها، ومن ثمة يقعون في الشرك الذي نصب لهم بإحكام، ليتحولوا إلى فريسة تنهشها الغرائز الرعناء، فريسة تعيش دهورا طويلة وهي تدفع عن نفسها أذى جلبته لنفسها حين

أرادت أن تمشي مشية الحمامة وتخلت عن مشيتها التي أوهموها بأنها لا تليق بها ككائن متحـــضر لتجد نفسها في آخر الأمر قد فقدت المشيتين معا، وصارت مخبرا لتجريب كل أنواع المشي إن لم نقل كل أنواع الهرولة، ولما ترسو على أمر.

بعد أن يوضح التاريخ لمحاوره دور الثقافة في بناء أي كيان وفي الحفاظ عليـــه، وعلـــى مقوماته، يندهش الكاتب لأهمية هذا العنصر الذي لا تعطيه الشعوب المتخلفة أدنى اهتمـــام، وفي أحسن الأحوال فهو في ذيل الاهتمامات، أقول يندهش، ويعبر عن هذه الدهشة بقوله: "يا لهول ما نعيش!" فهو في موقف المتسخط، لأنه يرى الواقع الذي نعيشه، وقد استبعدت فيه الثقافة ورجالها وبالتالي فإن الزوال والاندثار أمر حتمي، ثم يواصل كلامه، وكأنه يبرر دواعي جهله لهذه الحقائق المرعبة بقوله: "فنحن في زمن الاستنساخ" وهو تركيب اسمي، على شكل مسند إليه + مسند شبه جملة غرضه تقرير الواقع، ثم يستدرك بقوله: "ولكنه استنساخ جيني ورائي" وهذا الاستدراك يريد به توكيد الجملة التقريرية الأولى، وكأنه أراد أن يقول: بأننا نعرف الاستنساخ، ونفهم بأنه خاص بالتصرف في الصفات الوراثية، أي أن العملية تتعلق دائما بالكائنات ذات الجينات. أما أن يكون هذا الأمر أيضا يمس الثقافة، والحضارة، فلعمري إنه لأمر عجاب، كل هذا دليل على الدهشة التي أصيب بها الكاتب، حين أخبره التاريخ حقائق مفزعة، ثم يواصل التعبير عن هذه الدهشة، ولا يجد لها من مخفف إلا الاحتماء بعصر العولمة، وكأنه يقول: كل شيء جائز في زمـــن العولمـــة. "فـــلا عجب، فنحن في زمن العولمة "تركيب اسمي منفي" لا عجب" ذكر اسم لا وحذف خبرهـــا، ثم يربط بين التركيب الاسمي الأول وتركيب اسمي ثان بفاء الاستئناف "فنحن في زمن العولمة" وكأنه يعترف أخيرا بأن زمن العولمة غلب كل تفكير وتجاوز كل تصور.

ولما أحس التاريخ بأن الخدعة تكاد تنطلي على محاوره (خدعة العولمة)، وسعيا منه لأن لا يتحول جهله إلى جهل مركب، بادره بالتوضيح والتفسير لخبايا ودسائس المـــصطلحات الزائفـــة فقال: "هذا ليس جديدا" فالأقوياء دائما تكون لهم الغلبة والتأثير" والضعفاء المغلوبون تكون لهـــم التبعية وسوء المصير" هي ثلاثة تراكيب اسمية منسوخة في كل مرة يقدم الاســـم علـــى الناســـخ

لدلالات محددة أما في التركيب الأول فقد بدأ باسم الإشارة "هذا" أولا للفت انتباه محاوره وثانيا للإشارة إلى الأمر المقصود وتحديده.

أما في التركيبين الثاني والثالث فقد قدم الاسم على الناسخ ليبين في كل مرة المعنى بالكلام؛ الأول الأقوياء، والثاني الضعفاء، وفي ذلك دلالات عديدة منها:

1- أن القوي في كل زمان ومكان، هو من يسطر القوانين ويسنها وأن الضعيف هو من يطبقها بنفسه، أو تطبق عليه عنوة تحت ذرائع مختلفة.

2- كل ما يخطه الأقوياء، ويرسمونه لغيرهم، لا يخرج عن دائرة المصالح التي تخدم القوي وتزيد الضعيف ضعفا.

3- كلما بقي أبناء البشر يتواصلون وفق مبدأ (قوي وضعيف) كلما استمرت المعاناة وتجددت فنون الهيمنة والاستتراف.

ويؤكد هذا الكلام ما يضيفه التاريخ لمحاوره على شكل تفسير لما أجمل أولا،" أما العولمة أو الهيمنة، فهي شكل من أشكال القولبة للضعفاء والمغلوبين. ليكونوا. أفضل أداء و أكثر ولاء لدعاة العولمة".

هو تركيب اسمي طويل نسبيا للنعوت الكثيرة التي تنعت الضعيف، وقد بدأه بالأداة أما" وهي تفسيرية، ثم جاء بالمسند إليه على الشكل "العولمة أو الهيمنة" والأداة "أو" تفيد التخيير. وكأنه أراد أن يقول: اختر واحدا منهما، العولمة، أو الهيمنة، فهما سيان، أي سوى بينهما ليدل بأن العولمة ما هي إلا الهيمنة في ثوب جديد، وتحت اسم براق.

أما المسند فجاء على شكل "مركب اسمي" وقال "هي شكل" وكان يمكنه أن يقول "العولمة شكل" لكنه جاء بالضمير هي للتوكيد. والدلالة العامة التي أرادها التاريخ بهذا التركيب نصوغها على الشكل التالي: العولمة كلأ من إنتاج الأقوياء، يقدمونه للضعفاء حتى يقووا على الأداء الأمثل أثناء خدمتهم لسادقم، ويحفظون به ماء الوجه أمام منتقديهم ثم يختم حديثه قائلا: "فأنتم في زمن العولمة، أو الأمركة، أو الأوربة والغوربة بعد زمن العسكرة والسمسرة" تركيب

اسمي جاء على شكل: مسند إليه ضمير سبق بأداة (ف)+ مسند شبه جملة معطوف عليه بـأكثر من معطوف، وهو أمر مقصود، أي أن صياغة التركيب على هذه الشاكلة له عدة دلالات نورد بعضا منها على النحو التالي:

1- وجود الأداة (الفاء) وما تفيده من ترتيب وتعقيب أراد منه أن ما يأتي بعدها يوصف بنفس الحكم الذي سبقها مباشرة، والحكم الذي سبقها هو: الخنوع، والانبهار، والولع، والفرار من الواقع التعيس والعالم البئيس من أجل التنفيس، أي أنكم انتم (ويقصد الكاتب، وما يرمز إليه: عربي جزائري، الجيل أو الأجيال اللاحقة، ينتمي إلى العالم الثالث....)

2- الضمير (انتم) يدل على أن المخاطب جماعة وليس فردا أي أن الحكم على الفرد هو حكم على الجماعة التي يمثلها هذا الفرد وينتمي إليها.

3- المسند شبه جملة (في زمن العولمة) والحرف(في) يفيد الظرفية، فهو أراد أن يقول بأنكم داخل هذا الكيان (العولمة) أي احتواكم هذا الكيان، دون أن تسعوا إليه، ودون الاحتياط والاستعداد، بغرض اتخاذكم وقودا له، لأنه كان بإمكانه أن يقول: فأنتم تعيشون زمن العولمة، أو في زمن العولمة، لكن (تعيشون) معناه تتحكمون في مصائركم،وآليات حياتكم، وأنماطها. ولما انعدمت هذه المعايير، فانتم تحيون في زمن العولمة اصطناعيا لحاجة معينة.

4- العطف ب (أو) يفيد الاختيار، أي أن ما قبل حرف العطف، وما بعده، لهما نفس الحكم، وبالتالي فإن العولمة صناعة أمريكية، كما هي صناعة أوربية، وبشكل عام هي صناعة غربية لأن الغرب بشكل عام، لم يتغير من داخله ولكن فقط غير الثوب، وبقي ذلك الوحش الذي يتفنن في أساليب الإيقاع بطريدته أو فريسته.

5- الدلالة الأخيرة التي يمكن استنتاجها عموما هي أن العوالم الضعيفة منذ عهود طويلة لا تزال كذلك، وإنما أوهمت في أوقات بأنها تعملقت، وتخلصت من ضعفها الذي تحمله في ذاتها. وهو الوهم الذي يراودها بين الحين والآخر وما استطاعت أن تتخلص منه وبالتالي لا تزال تسير سريعة إلى وراء.

بعد هذا ينساق الكاتب والتاريخ في التراشق، والجدال حول العولمة والعوربة، ويظهر وكأنه جدال بين محافظ وحداثي: ولكن حين التمعن في هذا الجدال يتضح جليا بأنه نقد ذاتي إن لم نقل هو جلد للذات على الفهم الخاطئ للمصطاحين (عولمة وعوربة) ويمكن أن نستنتج عدة دلالات منها:

1- أن كلا من العولمة والعوربة صناعة إنسانية، وكل صناعة إنسانية يعتريها النقص، وإنما اللبيب من أدرك الإيجابيات وانتفع منها و فقه السلبيات وتجنبها.

2- كل مصطلح من المصطلحين يفسر على حسب قدرة وكفاءة المفسر؛ فالعولمة في عرف الأكفاء عامل إ ضافي يمكن الاستفادة منه، وتسخير جوانب كثيرة منه لخدمة الصالح العام، كما أن العوربة مفهوم يثير الاعتزاز، شريطة أن يكون مرنا يساير، مستجدات العصر، وبالتالي يسير جنبا إلى جنب مع هذا التدفق الرهيب للاكتشافات العلمية والفتوحات المعرفية دون أن ينسى هويته وانتماءه ليبقى المؤشر يشتعل أحمر، كلما مست الحدود، وانتهكت الحمى.

أما في عرف الضعفاء فإن العولمة تيار متوحش: يجرف نحو الكفر والإلحاد، والانسلاخ من الصفات الإنسانية، وبالتالي يترك كله. وأما العوربة فهي دوامة من الرمال المتحركة، تجرف باستمرار نحو الهاوية، وبالتالي وجب التخلص منها. ونتيجة لذلك وجدوا أنفسهم على هامش الحضارة. وخارج مماسات التاريخ.

4- رحلة التيه من ماض شهيد إلى حاضر شريد:

وكأن الكاتب أراد أن ينكأ كل الجراح الغائرة في موقف أشبه بموقف المتوجع الشاكي كثرة الكلوم وعمقها وحرقتها، فينتقل من جرح غائر، إلى آخر يشبهه، لا يزال حارا ينـــزف بغزارة، بل قل هو ينتقل من جريح إلى ذبيح على مسمع ومرأى الأشهاد، دون أن تقشعر أبدان ذوي النخوة المفتعلة، ولا انتصاب شعرة من الرؤوس التي قبلّت لغلضتها وغفلتها ينتقل من وطن تكالبت عليه الأعداء حتى قبل أن يرسم معالمه، وصاحبته إلى أن جلى حدوده، وانزرعت بداخله حتى بعدما غسل كل شبر منه بنهر من الدماء، ينتقل من هذا الوطن إلى وطن آخر جنايته الوحيدة أنه يشبه الأول في إيباء أبنائه وكبرياء نسائه ورجاله. بل جرمه لآخر هو تاريخه المجيد، وحاضره السعيد، واتجاهه السديد، وليس هذا الوطن لا العراق الشهيد، وعاصمته بغداد عاصمة الرشيد.

ويزداد الألم شدة حين ينتقل إلى ذلك الجرح الذي أوشك أن يكون مألوفا وبالتالي مزمنا يقبل أصحابه أن يعيشوا به دون إيلائه اهتماما كبيرا، وماذاك إلا فلسطين المغتصبة بمباركة من شرذمة إلى هيئة الأمم منتسبة، وسكوت رعاع على رؤوس الشعوب العربية منصبه، ينتقل إلى هذه الجراح متوجعا وشاكيا ضعف جهده وقلة حيلته ويصوغ هذا الوجع الصارخ الدفين في شهقتين: الأولى باسم بغداد والثانية باسم فلسطين.

أما الشهقة الأولى، فإنه يعبر بها عن كل أحلام العرب الأباة بل هي قناعات الصغار والكبار والأحرار، قناعاتهم التي لن تتغير مهما كان الوضع الذي تؤول إليه بغداد، ونستنتج من هذه الشهقة مجموعة من الدلالات منها:

1- أن بغداد لم تدك حصونها، وهتك أعراضها إلا للزخم التاريخي المجيد الذي تمثله،لا، لأي سبب آخر مهما كان: "بغداد! مهد الحضارة لن تموت".

2- مهما فعل الغزاة ببغداد المدينة، فإن بغداد الرمز ستبقى خريطة متلألئة المعالم في نفس كل عربي أبيّ"بغداد! رغم القذارة، رغم الدمار،ورغم الحصار،فلن تموت".

واستخدم أداة النفي"لن" يفيد نفي ما يستقبل من الزمن.

"هي الحياة....إذ الحياة اغتصبوا"

3- أن الاعتداء على بغداد نفذه الغرباء بمباركة الأقرباء؛ مباركة صاغها الخنوع، ودناءة الطبع، والطمع في مواصلة ركوب الأشقياء وتلجيم الشرفاء الأتقياء.

"ستصمد رغم التآمر، رغم التخاذل، رغم السكوت"

4- مصير كل بغداد أينما كانت، بل مصير كل من أرادت أن تكون بغداد، هو الدمار حتى لا تكون شوكة في حلق حمامات اليهود، التي تحتمي داخل العرين الأبيض.

"ما أجرمت حين أبيت ..

أن تكوني مع الراكعين أو الخاضعين

لروبية العالم الجديد"

5- الاعتداء على بغداد دافع آخر للتشبث بها،ليس لأنها ضحية فحسب،ولا لأنها رمز لماض مشرق،وحضارة زاهية فقط،ولكنها كانت القشة التي قصمت ظهر البعير – أي أنها أظهرت الحق من الباطل،وفلقت بين النهار والليل،وأظهرت تفاهة كل المواثيق والأعراف، وهشاشة كل تآخ وتآلف: "....وشكرا لك حين كشفت

ظلم الأقوياء

وظلم الأقرباء

وهشاشة الأخوة

لك فيها من العزاء

6- وأخيرا أظهرت بغداد حقيقية الذين كانوا يدعون انزعاجهم من فيل الملك، وعزمهم على أن يطرحوا موضوعه أمام الملك،ولما جاء الموعد المشؤوم،لم يبق في المواجهة إلا الصادق الوفي،فراح ضحية لجرأته وسط تأنيب أخوة الأمس ورفقائه.

"....اخترت ان تضحي،فكنت كبش فداء

وعدي الذي قد أصابك كان قضاء

وحاصري حصارك

وانتظري عدل السماء "

وأما الشهقة الثانية فهي نوع من المواساة،والعزاء للنفس، ولكل حر لازال يذكر العرض المغتصب في وضح النهار،وعلى مرأى ومسمع الجميع .أقول مواساة وعزاء لأن الأرض والعرض استبيحا،واستبيح معهما ماض مشرق، وحاضر بالزيف والخذلان،والخنوع يبرق،بل سود على إثرهما (الماضي والحاضر)مستقبل تحلم به عيون أطفال بالأمل تشرق.

ويمكن أن نستخلص مجموعة من الدلالات منها:

1- أن الأنظمة العربية أصابها البوار، فلا هي انتفضت، ولا هي فكت قيود الأحرار لحماية فلسطين من الدمار، والتشتت والاندثار، بل باركته ورحبت به في العلن وفي الإسرار، "وتـاجروا بها في سوق العوربة، وكان الثمن بيانا، وتاجروا بها في سوق العولمة وكان الثمن خذلانا وخسرانا. فتحولت من فلسطين المسلمين، إلى فلسطين العرب إلى فلسطين الشرق الأوسـط، إلى فلـسطين الفلسطينيين، إلى فلسطين بعض الفلسطينيين، إلى أسراطين، إلى خارطة على الطريـق، ونخـشى أن يكون طريقا بلا عودة وقد تصبح ولا فلسطين".

2- أن الأزمة الفلسطينية ستطول مادام الفلسطينيون أنفسهم، وضعهم واحد وقلوبهم شتى "تعددت انتماءاتها، وتعددت ولاءاتها، وتعددت أبواتها، فأصبحنا لا نـدري عـن أي فلـسطين نتحدث؛ فلسطين أبوعمار، أو فلسطين أبو مازن، أو فلسطين أبـو العبـاس، أو أبـو نـضال أو جورج حبش، أو أبو جهاد أو أبو حجارة".

3- رغم الداء والأعداء، ورغم تكالب الأقراب والأغراب، ورغم الحصار والدمار، وسواء أطال الزمن أم قصر، فإن الحق لا محالة عائد إلى أصحابه، مادام الدم العربي يجري في عروق أبنائها حتى وإن دجًنوا ودجّلوا، إلا أنهم حتما سيعودون، وستعود معهم الأرض المغتصبة.

"دم الشهيد وبراءة الوليد، لو تركا لقطع الوريد، ولما طلبنا المزيد، حتى نعدّ لهم من القـوة والبأس الشديد، فنكون مثلهم أو نزيد أو يفعل الله بناما يريد".

4- أن الأرض التي أنجبت أبا جهاد قادرة على أن تنجب مثله الكثير، وسيشعلونها حربـــا قوامها الحجر، لا تبقى ولا تذر لأنه كلما سقط شهيد تسلم منه المشعل مشاريع شهداء جـــدد لا يرضون عن الحق بديلا، كيف لا، وصوت سيد الشهداء مازال يجلجل ويزلزل.

لك وحدك يرتسم العمـــر وحدك اليوم تتلى كل السور

لك وحدك يا درة الشهـــدا ء ونغـــــني إذا يعزف الوتـــر

أنت في زمن الصمت معجزة باسمها هـــــا هنا ينطق الحجر

أنت في زمن القهر نصرتنا يـــــوم لا نصر يلقاه منكسر

5- **ارحلـــوا:**

هاتان الشهفتان كانتا بمثابة المثير الذي نبه الكاتب إلى الأسباب الحقيقية لاستمرار الأزمـــة الفلسطينية، والنكبة العراقية، ومصيبة كل البلدان العربية، وليست هذه الأسباب ســـوى الحكـــام العرب؛ الذين كبلوا شعوبهم، وقدموها قربانا على مذبح الانبطاح، لعدو لا يكاد يصدق المكاسب التي حصل عليها من قبل هؤلاء الحكام، فصرخ الكاتب في وجه هؤلاء الأباطرة وهو يتمثل أمامه الشعوب العربية تصرخ معه، فتوقّع أن تكون صرختهم مثيلة صرخته التي تقول: "أرحلوا وا وا وا. وهو تركيب فعلي بسيط يتكون من فعل أمر + فاعل في شكل ضمير (واو الجماعة) بناء بـــسيط من حيث التركيب، ولكنه يحمل عدة دلالات لعل منها:

1- صيغة الفعل المباشرة دليل على أن الشعوب سئمت من هـــؤلاء الحكـــام، وفقـــدت احترامها لهم، فأمرتهم أمرا مباشرا على سبيل التنفيذ الواجب لا رجاء "لأن الأمر عادة إذا كان من الأقل منزلة إلى الأعلى منزلة يخرج عن غرضه الحقيقي إلى غرض بلاغي آخر؛ عادة مـــا يكـــون الرجاء، أو الالتماس، أو الدعاء أو..."[1].

2- تكرار الفاعل "وا، واوا" دليل على استطالة الصرخة، أي أنه لم يكن أمرا وفقط، ولكنه كان أمرا في صيغة الصراخ الغاضب، وذلك يعني أن الشعوب العربية على مشارف الثورة عليهم.

3- تكرار الفاعل على الشكل الذي جاء عليه ينم على نظرة استقلال الشأن لهذه الطغـــم الحاكمة.

4- تكرار الفاعل أيضا يدل على أن التوكيد واقع على الفاعل أكثر من الفعل، وهو مـــا يعني أن الشعوب تريد اختفاء هؤلاء الحكام بأي رحيل، سواء أكان رحيلا إلى وجهة دنيويـــة، أو رحيلا إلى حيث لا رجعة. المهم أن يرحلوا لأنهم ببقائهم تستمر المحن وتزداد الفتن.

وبعد أن يأمرهم بالرحيل يذكرهم ببعض الخزي الذي تسببوا فيه فيقول:

"فالقضية صارت مشاعا

على عتبات جميع الأمم

والتسول ما عاد يجدي

في هيئات الأمم"

تركيبان اسميان: الأول منسوخ، تقدم اسم الناسخ على الناسخ لأهميته، وهي هنا القضية قد تكون قضية أي وطن، بل قضية كل الوطن العربي.

ثم اختار الناسخ (صار) وهو يفيد "التحويل"[2] من هيئة إلى أخرى، أو من حالة إلى حالة أخرى، والذي صيرها على النحو الجديد (مشاعا) هم الحكام العرب الذين لا يتقنون إلا فن الهرولة إلى غيرهم، لعلهم يكونون لهم سندا في وجه شعوبهم.

ثم في التركيب الثاني، تقدم (التسول) على (الفعل) لبشاعة هذا السلوك واشمئزاز النفس الأبية منه، ثم أي تسول؟! فهو تسول عند من لا يسمن ولا يغني من جوع. هو تسول لدى مؤسسات يدرك الجميع (الحكام العرب طبعا) بأنها مؤسسات وهمية لخوائها، وشللها، وتجريدها من كل سلطة وحول. ثم يعيد الصرخة ولكن في شكل تحقير وهزء.

فيقول:

"ارحلوا بنيا شنكم

بغنائمكم

بحمائمكم

بتخاذلكم

بتواطئكم

بجرائمكم

بهزائمكم

وبكل القمم"

من هذه التراكيب الفعلية البسيطة [فعل + فاعل (ضمير) + مفعول به (شبه جملة)] المتشابهة والتي تبدو وكأنها تركيب واحد. نستخلص مجموعة من الدلالات منها:

---

1 - أحمد الهاشمي؛ جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، 2005 ص71.

2 - فؤاد نعمة، ملخص قواعد اللغة العربية، دار الامام مالك، الجزائر، ط16، 1999 ص35.

1- عدم تكرار الفعل دليل على أن كل الذي جاء بعده لا يساوي شيئا، حتى وإن اختلفت التسميات، أي أن الذي يظنه الحاكم مفخرة، ومصدر اعتزاز، هو عند الشعوب هرج زائف، و لم يكلف الكاتب نفسه عناء إعادة الفعل، بل أظهر وكان كل الذي جاء بعد الفعل قيل مرة واحدة، وذلك دليل على اللامبالاة.

2- في ترتيبه لتلك المسميات على الشكل السابق مقاصد عديدة، وهي: أن الحكام العرب أهملوا قضايا الأمة، وانشغلوا بأنفسهم، يوطدون سيطرتهم، ويحكمون قبضتهم، من خلال الأوسمة والنياشين التي زخرفوا بها صدورهم جراء تفننهم في التنكيل بشعوبهم والتفريط في قضاياهم، كما أنهم ما تركوا مصدرا للاغتناء إلا استترفوه وعاشوا متظاهرين بحبهم للسلم والسعي إليه، ولكن ما دفعهم إلا خوفهم، وحبهم لشهوات الدنيا؛ بل زادهم تشبثهم بالمناصب والمكاسب، زادهم استفالا حتى أعلنوا التواطؤ مع العدو، وخذلوا شعوبهم. بل ارتكبوا في حقهم جرائم يندى لها جبين البشرية، وأعلنوا البلاد العربية أرضا محروقة من كل إباء وكبرياء، ليدخلها الفاتحون الأغراب وبآياديهم كؤوس نخب الاستباحة يتبادلونها في كل قمة طارئة أو عادية، يعقدها صباياهم (أقصد صبيانهم).

بعد هذا الوضع الذي آلت إليه الأوطان العربية، بسبب السياسات العرجاء لحكامها وافتضاح زيفهم وسوءاتهم، تيقن الكاتب، ومن خلاله الشعوب العربية، بأن هؤلاء الحكام ينتسبون إلى خرائط الأوطان، ولا ينتمون إلى تربة الأوطان، فهم بيادق رصفت على خارطة الوطن العربي تتحرك وفق قواعد لعبة اختمرت في أذهان شياطين الغرب، ونفذت على أبناء العرب؛ لذلك طالبهم بالرحيل من على الخرائط، ماداموا قد رحلوا بفكرهم وانتمائهم وولائهم؛ طالبهم بالرحيل لتسترجع الأوطان أنفاسها، وتجمع شتاتها، وتعالج أدرانها، لعلها تستعيد حرمتها، وتصون عرضها وترضع ولدها جرعات الشهامة والإباء والاعتزاز بالانتماء [ارحلوا عن خرائط هذا الوطن].

ارحلوا لتكون سلالتكم آخر الراحلين........... بهذا الزمن

ارحلوا واتركوا طفلنا، يرسم الحلم ......

في ثوب هذا الكفن

يرسم العمر......

من صلب هذي المحن.

.... ارحلوا واتركوه وحيدا

وفي يده قدر

سيعود.......

وفي يده حجر

.........سيحطم كل القيود ....

وكل القمم

وتشق يداه السدم، ويشق سناه الحمم

رافعا راية النصر.......... و النصر من قدسه يرسم

رافعا راية النصر.......... و النصر من نصره يبتسم

3- تكرار الفعل "ارحلوا" في كل مرة دليل على أن السيل قد بلغ القمة، و بالتالي فإن رحيل الحكام العرب أمر لا مفر منه، إما أن يرحلوا طواعية – مادامت الفرصة مواتية – وإما أن يرحلوا مكرهين، لأن برحيلهم تتوافر حظوظ الأجيال القادمة لأن يشبوا أحرارا، و تدفعهم نخوتهم لأن يحرروا الأوطان من القيود التي كبلها بها (أشباه المرجلة)

4- التركيز على "الطفل" هو محاولة للخروج بأخف الأضرار من هذا البلاء، مادام الحكام قد دجنوا أجيالا انتهت صلاحيتها، فالواجب هو حماية الأجيال اللاحقة، وهو ما رمز إليه بـ (الطفل) لأن هذه الأجيال هي المنقذة و المخلصة للأوطان من العار والدمار.

بعد هذا ينتقل الكاتب مع التاريخ (المتحاوران) إلى أمر ذي أهمية كبيرة، وبتمثل في الذاكرة، الذاكرة الجماعية، أي الهوية،التاريخ، الأصل، الامتداد الطبيعي، هذه الذاكرة التي حوربت بطرق مباشرة وأخرى خفية.

أما الطريقة المباشرة، فهي تلك التي شككت في الأصل الحقيقي للأمة الجزائرية، ووجدت من يسير في ركبها صاخبا، ينتسب في كل مرة إلى جهة، معتقدا بأن تنصله من حقيقة أصله يجعله متمدنا، وطرفا مقبولا من الغرب، أو دعاة العصرنة، فراح هؤلاء ينسلخون بكل ما أوتوا من قوة لعلهم يفلحون.

وأما الطريقة غير المباشرة، فهي تلك الأصوات التي تصرخ بكل ما أوتيت من قوة بالرجوع إلى الماضي وإعادة بعثه...

وكأنها تريد لإنسان ما قبل التاريخ أن يعيش، ويستوعب متطلبات عصر الكهرباء، تقابلها أصوات أخرى مناقضة تماما، تسعى لأن تنسلخ عن مبادئها، وتاريخها، وانتمائها، لترتمي في أحضان أفكار و أساليب غريبة وافدة من وراء البحار والمحيطات، وهي بدورها تريد أن تلبس المعري قلنسوة أتاتورك.

من شأن الماضي أن يكون الأرض الصلبة، ومن شأن الحاضر أن يكون المنطلق الصحيح لتكون الانطلاقة سليمة من كل قطيعة وخديعة.

"طاب أمسكم! فهذا يومكم وذاك أمسكم"

"وزمام أمركم بين أمسكم ويومكم"

"إنها (القطيعة) كلمة فضيعة، ودلالتها شنيعة، إذا كانت من ذوي النفوس الوضيعة. أما إذا كانت من ذوي النفوس البريئة، فهي فكرة جريئة، على أن لا تتعدى التجديد إلى قطع الوريد"

"...أفضل أن أكون من ذوي النفوس البريئة، التي اختارت التجدد والانفتاح على القطيعة والانتماء إلى حضارة في القدم ضليعة".

وبعد هذه الجولة المشؤومة في مغاور وفجاجٍ وغاباتٍ وأحراشٍ، أراد الكاتب أن يركن إلى الراحة، ويهدأ باله، ويمشي مطمئنا على طريق مستوٍ خالٍ من الحفر والممهلات. فسأل محاوره عن سبيل إيجاد وتحقيق هذا المشروع الحلم.

فجاءت الحلول على النحو التالي: **"أدركوا الزمن" و "خلصوا هذا الوطن"**.

تركيبان فعليان بسيطان يتشكلان من: مسند + مسند إليه ضمير + متمم (مفعول بـــه).

تركيبان فعليان بسيطان، ولكنهما أس الحلول. فالفعل في التركيبين جاء على صيغة الأمر، وهو أمر غرضه النصّح، ومنهما يمكن استخلاص عدة دلالات منها:

1- أن الزمن قد تجاوزنا، ومن تجاوزه الزمن بقي في المحطة نفسها، في الوقت الذي يتقدم فيه غيره إلى محطات أخرى، وبالتالي يسبقونه إلى المكان المنشود.

2- من أراد أن يساير الركب الحضاري، عليه أن يعطي للوقت الأهمية اللازمة، بحيــث يعرف التوقيت المناسب لكل خطوة يخطوها.

3- كلما طال زمن التراخي، كلما استحال تدارك مافات.

4- أن الوطن حبيس بين أبنائه، فهم الذين يفكون قيده لمسايرة بقية الأوطان، أو يوثقــون قيوده جيدا ليبقى يتخبط في مربض التخلف.

5- لا معجزة إلا ما نبذ له من جهد وإخلاص.

6- حماة الوطن أبناؤه، فإن شاؤوا صانوه، وإن شاءوا أباحوه. وبعد النصح، ينتقل التاريخ إلى مناشدة أبناء الوطن، لعله يوقض فيهم النخوة، ويحرر في دواخلهم الشهامة والإباء، لينتفــضوا انتفاضة الحر. وليدغدغ المشاعر استعمل النداء "يا بني!".

وهذا التركيب الاسمي جاء على الشكل: أداة + منادى مضاف + مضاف إليه + التصغير وقد استعمل حرف النداء "يا" و لم يستعمل حرف آخر خاصا بالمنادى القريب، فقــط لان"يــا" تسمح له بان يخرج شحنة من الحزن والغضب ينفس بها عن روحه ثم إن التصغير هنا يهــدف إلى التقريب والتحبيب.

وبعد هذه الصرخة المدوية، راح يذكرهم بما يجب القيام به في مجموعة من التراكيب الـــتي تبدأ بـــ "أناديكم" لتكون في شاكلة المناشدة، والتوسل، على اعتبار أن الخطر يداهم البلاد والعباد معا.

ونستخلص مجموعة من الدلالات من هذه الصرخات نذكر منها:

1- أن الوطن في نفق مظلم، ولا مخلص له إلا أبناؤه الذين يخرجونه من الظلمة إلى النـــور [أناديكم باسم هذا الوطن، الذي ينتظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصبح].

2- أن الوطن يعيش فتنة خطيرة، تكاد تغير خارطته وتفتك بقاطنيه.

3- الوطن في حاجة إلى أبناء بررة ينزعون فتيل الفتنة، ويرممون الصدوع الكثيرة، ويرصون الصفوف، ليحفظ توازنه أولا، ثم الانطلاق نحو العلا [أناديكم باسم هذا الوطن الـــذي صـــار كالسفينة، التي تتقاذفها الأمواج في يوم عاصف، توشك على الغرق، ولا رجاء إلا في الله وربـــان ماهر، يقودها إلى بر الأمان].

4- أن الخطر استشرى وتغلغل إلى المقاتل، وسهل له عملية الانتشار السريعة، عدم التصدي له من قبل الخلف، الذي لم يثمن التضحيات الجسام التي قدمها السلف [أناديكم باسم ثوابـــت هذه الأمة، التي تزعزعت، وأوشكت أن تجتث من جذورها، بعد أن سقيت بدماء زكية طـــاهرة، أهداها إياها شهداء الواجب المقدس].

5- أن التقاعس والخذلان أصبحا موضة العصر، موضة تهافتت عليها الغالبيـــة الـــساحقة، وتجردت من كل نخوة وإيباء، وحرارة انتماء [...وتمد يدها اليوم إلى أبنائها المخلصين لينقـــذوها من بوار وشيك، ويبعثوا فيها روح التجدد والخصب والنماء والازدهار].

6- اختلال أصاب منظومة القيم والمعايير، إذ أصبحت القيم والمعايير الحقيقية شـــبهةً، أو دليل تخلف، راح يتنصل منها أكثر الناس، ويهرولون إلى قيم ومعايير تسير بهم - وهم لا يميزون- إلى دوامة من غير قرار [أناديكم باسم الوطنية التي صارت عملة نادرة، لا يعرف قيمتها إلا مـــن كانوا مخلصين]، [أناديكم باسم انتمائكم الحضاري الذي يهدّد بالزوال].

7- الخلف خان العهد الذي عاهد عليه السلف، حين خان أمانة الـــدفاع عـــن كرامـــة الوطن، وانتمائه، والسعي إلى رفع هامته بين الأمم [أناديكم باسم الأجيال التي تعاقبت على هذا الوطن، وضحت من أجل بقائه، وتركته أمانة في أعناقكم، وواجب الأمـــين أن يحـــافظ علـــى الأمانة].

8- أنانية الأبناء قادتهم إلى التنكر للذين فلحوا لهم ما يحصدون، كما أعمتهم عن سوء ما يزرعون، وأنستهم التفكير فيمن يجني جراح ما يقترفون.

(أناديكم باسم الأجيال القادمة التي ستخلفكم وتحمل تبعاتكم، وأي زرع تزرعـــون ستحـــصده الأجيال، فاختاروا الصلاح).

9- غفلة الأبناء لأحكام التاريخ التي لا ترحم، ولا تحابي أحدا، فهي أحكـــام في صـــالح المخلص، تشهد له أمام القريب والغريب، كما هي سيف مسلط على رقاب الخونة والمتخـــاذلين يراقبهم عن قرب، طال الزمن أم قصر [أناديكم أن تخلصوا لوطنكم، وأن تتحملوا مـــسؤولياتكم أمام الله والتاريخ]،[فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وتأتي على قدر الكرام المكارم].

وبعد هذا الصراخ والتألم، والإلحاح، يحس الكاتب بالتعب والوهن، ويكاد يغلبه اليـــأس الذي يبحث عن وسيلة للتغلب عليه، فما يجد غير وسيلة الحلم، وما بيد العاجز غير الحلم، لعلـــه يرسم في ملكوته عالما مغايرا للواقع المعيش، فيطلق العنان لمخيلته، ويتخذها معراجا لعلـــه هنـــاك يغسل أدران هذه المآسي، بمسحة نورانية يجدد معها طاقته التي افتقدها، أو يكاد، ويبـــدأ الحلـــم بقوله: [ما أحوجنا إلى لقاء...].

وهو أسلوب تعجب، وكأن الكاتب - حتى وهو يحلم- لم ينفصل عن واقعـــه، ولا عـــن مقصده الأسمى، ثم قال "لقاء" ثم راح يصفه، أي أنه في حاجة إلى لقاء أبناء الوطن، ولـــيس أي لقاء، إنما هو لقاء كما يتمناه، لقاء بين أبناء الوطن الواحد، يناقش قضايا الماضي، وقضايا الحاضر ويستشرف فيه المستقبل.

- هو لقاء تزول فيه كل الحدود المفتعلة والمتوهمة لتصفى معه الـــسرائر، وتـــدرك إذ ذاك الحقائق والوقائع.

- هو لقاء بمثابة الجرعة التي على أثرها يستفيق الجميع، ويدركون هول ما عاشوه وصعوبة ما يواجهونه، وخطورة ما يترصدهم.

- هو لقاء يتعانق فيه الجميع، تعبيرا عن العودة من غربة غريبة، ويربتون فيه على بعضهم طلبا للغفران، وتجديدا للروابط والمواثيق.

- هو لقاء يتباحث فيه الجميع عن سبيل علاج جراح الماضي، وطرق تجفيف دموع الحاضر، وكيفيات زرع البسمة والأمل في المستقبل.

- هو لقاء يعتذر فيه الجميع لهذا الوطن، ويطلبون فيه الغفران من ربهم، وآبائهم، وأجدادهم، عما اقترفوه من معاص وأخطاء.

[ما أحوجنا إلى لقاء تمتزج فيه الأحاسيس والمشاعر بعبق اللقاء، برائحة التاريخ، بنبض الحضارة، بشذا الأوطان، بتقاسيم الزمان، برهبة المكان، بأريج الزهور، بطراوة الندى، بصدى الألحان، ببراءة الوليد، ببراعة النشيد، لتتضوع منه رائحة الوطن الزكية، تتضوع منه تأوهات هذا الوطن الحبيب، تاوهات وطن مثخن بجراحه، مثقل بأثقال السنين]، [وطن يتطلع إلى غد مشرق تختزل فيه السنون الطوال وتتحول فيه الجراح وصالا].

خـــاتمة

من خلال هذا التتبع المتواضع لما جاء لدى أبرز اللغويين القدامى والمحدثين، ولما جاء في كتـــاب "سألت التاريخ عن أمتي فأبان" خرجت بمجموعة من النتائج لعلها تلامس بعضا مـــن الـــصواب، وأخص بالذكر ما يلي:

1- أن التقسيمات الحديثة للكلام مكلفة، وهو لا يخرج عن كونه اسما وفعلا وحرفا كمـــا ذكر الأقدمون أما الأداة والضمير وغيرهما فيمكن إدراجها تحت الأقسام القديمة.

2- إن الجملة العربية قسمان لا ثالث لهما: اسمية وفعلية.

3- كل جملة يجوز فيها التقدير، فإن كان المقدر فعلا فالجملة فعلية، وإن كان اسما فالجملة اسمية، مثل ذلك الكلمة الواحدة التي لا تفهم إلا بمحذوف كقولك من جاء؟ فتجيـــب: محمـــد فمحمد مبتدأ وخبرها محذوف تقديره جاء، ولا نقول هنا إن الجملة فعلية لأن المقدر فعل، ولكنها اسمية لأن محور الإبلاغ هنا هو الاسم وليس الفعل.

4- الجملة الظرفية من قبيل الفعلية على أساس تقدير الفعل المحذوف (استقر،حدث، وقع).

5- النداء جملة فعلية على أساس تقدير الفعل المحذوف (أدعو أو غيره)، ولا يمكن اعتباره شبه جملة.

6- التقسيم الصوتي فكرة تحتاج إلى أبحاث عميقة يمكنها أن تصل إلى نتائج مثمرة.

7- مسألة البنية العميقة والسطحية ليست جديدة في البحث اللغوي، غير أنها لبست أثوابا جديدة، وازدادت عمقا، شأنها شأن أي بحث ينمو ويثرى بالتراكم وامتداد الزمن.

8- طريقة التشجير ليست حجة في تقسيم الجملة -على الأقل لحد الآن- فهـــي أنـــسب للغات الأجنبية، أما ما يخص العربية فلا تزال هذه الطريقة قاصرة، قصورا إما في نفسها أو خارجا عنها، وهي تحتاج إلى وقت أطول، وأعمال نظرية وتطبيقية أكثر، لعلها تكون يوما حجة للتقسيم.

9- البحث عن العامل ضروري لفهم كثير من التراكيب اللغوية العربية، مادامت الطرائـــق البديلة لحد الساعة عاجزة على أن تحل كثيرا من الإشكالات.

10- تعد آراء المحدثين - على اختلافها كما وكيفا- محاولات للتجديد رغم تأثرها البليغ بالبحث الغربي.

11- الجملة العربية لها طبيعتها وخصائصها، وهي تعتمد على الصدارة التي تمثل محور الإبلاغ.

12- بعض الأعمال تقترب من تكوين نظرية جديدة حول الجملة العربية وما يتعلق بها، إلا أنها في حاجة إلى تضافر الجهود والعمل المؤسساتي.

13- الكتاب مزيج من الشعر والنثر، ونجد في بعض الحالات الشعر النثري، والنثر الشعري كل ذلك دليل على مقدرة كبيرة على تطويع اللغة، واكتساب ناصيتها من جهة، ومقدرة فنية وعمق فكري، وثقافة متنوعة، من جهة أخرى، إذ ليس بمقدور أي كاتب، أو ناقد أن يكون شاعرا، والعكس صحيح.

14- حسن استغلال لخصائص التركيب، سواء أكان ذلك في مواضع الشعر، أم في مواضع النثر، إذ كلما كانت الانفعالات هادئة، أو آيلة للهدوء، استخدم مطلق التركيب الاسمي الساكن. واستخدم التركيب الفعلي - بسيطا كان أو مركبا- كما استخدم التركيب الاسمي الذي تكون فيه المشتقات حاضرة بشكل لافت للانتباه، كلما كانت الحركية المادية، أو الانفعالية مسيطرة، مع مراعاة ما يبيحه الشعر من ضرائر وما يتيحه النثر من فسحة.

15- كلّ ما تعلق من مسائل خاصة بالجملة العربية تقريبا (ابتداء، حذف، نسخ، توكيد، لزوم، تعدية، تقديم، تأخير) وغيرها لها أشكال وإن قلت في بعضها في المدونة.

16- لم يخرج الكاتب عن المنهج القديم، من حيث النمط التركيبي للجملة، وذلك دليل على عدم انسياقه وراء الأصوات المنادية بتبسيط القواعد، أو بتطبيق بعض النظريات الغربية على اللغة العربية، لأنه يدرك جيدا طبيعة اللغة العربية من جهة، وحقيقة النظريات الغربية التي تبقى - وإن تعملقت- قاصرة على أن تحتوي كل خصوصيات اللغة العربية، بثرائها، وتنوعها

ومدونتها، وقدرتها على مسايرة الأحداث، باعتبارها لغة القرآن، الصالح لكل زمان ومكان، ولأن هذه النظريات استخلصت من خلال تمحيص للغات تختلف كليا عن اللغة العربية.

17- كل أشكال التراكيب، وكل ما يمكن من تأويلات دلالية تستمد من المدونة، تنبــئ عن فلسفة تبدو بسيطة، ولكنها عميقة، وعمقها مصدره "الأنّماذج من غير خلفيات" أي أن فلسفة الكاتب تتخذ من الواقع مادة خاما، ثم تشكل منها هيئات، ونماذج، تبعث فيها روحا نقلتها مــن نماذج كانت موجودة، ولكن الأشكال المادية تآكلت بفعل الزمن، وبقيت الروح التي من طبعهــا الخلود والتجدد، والتوق إلى السمو والارتقاء، لذا وجب نفثها في هياكل عصرية بكل ما تحملــه الكلمة من معانٍ.

18- من خلال تتبع بعض الظواهر التركيبية، والدلالية في كتاب الدكتور الشريف ميهوبي "سألت التاريخ عن أمتي فأبان" يمكن أن نلاحظ أن اللغة تتميز بصفة نوعية، وأخرى كمية، حيث أدى الجانب الكمي إلى بحث الدلالة، والنوعية التي تتضمنها الوحدات الاسنادية، مع التأكيد على القوانين العامة للاسناد في علم التركيب بشكل عام، وفي علم النحو بشكل خاص.

ولا يخفى أن وصف أي لغة خاصة، يخضع إلى القوانين اللغوية العامة، وهو الجانب الــذي تشترك فيه جميع اللغات، غير أن ما يميز خصوصية أي لغة هو نظامها النحوي، ولغــة الــدكتور الشريف ميهوبي من خلال المدونة انسجمت مع النحو العربي بشكل خاص، ومع النحــو العــام بشكل عام، ومثلت العملية الاسنادية ظاهرة يتسنى معها تمييز قوانين عامة قارة، وخاصة، في مرتبة عناصر الإسناد، وما يصاحب سياق التركيب، وهو الأمر الذي مكن من تحديد الجانب المعنــوي الذي تقسم على أساسه الجمل، حيث أن الوظيفة (وظيفة التركيب) تتحــدد بقيمــة العناصــر في الوحدة التعبيرية العامة، وأكثر ما يلاحظ هذا الجانب واضحا، في مواقف النثر، وبالأخص حين يكون الموقف الانفعالي يتطلب مجموعة من التراكيب، أو بالأحرى عبارات تهــدف إلى التنفــيس أو الإحاطة بالفكرة، لكنه يبهت في مواضع الشعر، أو في التراكيب البسيطة التي تعرضت عناصرها إلى ظاهرة الحذف، أو الإخفاء أو الاختزال.

وعموما ما يمكن تسجيله بشأن التراكيب عند الشريف ميهوبي ما يلي:

1- التكامل بين العناصر.

2- اقتصاد تركيبي وتكثيف دلالي.

3- كثيرا ما تخضع الوحدات للانتقاء، وخاصة حين تكون وحدات رمزية.

4- قيمة أي عنصر تستمد في الغالب من مدى تعامله مع غيره من المؤلفات المباشرة.

5- من أخصّ ما يسجل على لغة الأديب - تركيبا ودلالة - أنها ذات خصائص متنوعة، فرضتها فيما أرى المواقف المتنوعة، أو الموضوعات المختلفة التي تعرض إليها، منها أنها لغة أدبية فنية، كما هي عقلية ذهنية، حيث تظهر الكفاءة في تنويع الأساليب، مع اقتصاد كمي، وتكثيف دلالي.

6- يمكن أن نقول أن لغة الشريف ميهوبي، نجحت في المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة، فلا هي تمسكت بالمعيارية القديمة، وغلقت على نفسها نوافذ التجديد، ولا هي فتحت كل أبوابها مرتمية في تيار المعاصرة بسلبياته وإيجابياته، وإنما هي لغة حافظت على القواعد الكلية التي تتميز بها اللغة العربية عموما، ومدت يدها إلى عصرها لتغرف منه ما يناسبها، وما يعضدها ويقوي حضورها، وخاصة فيما يتعلق بالجانب الدلالي، حيث استفادت من تطويع الرمز بكل أنواعه ووسعت معجمها الدلالي، واللفظي.

وفي الأخير أهمس في خجل بأن المحاولة التي بين أيدي القارئ يمكنها أن تلفت الانتباه إلى كثير من الأعمال التي تزخر بها المكتبات، والتي لا تزال بكرا، وفي تناولها بالدراسة نوع من رد الجميل لأصحابها، واعتراف بفضلهم، حتى وإن قصرت هذه الدراسات في جوانب مختلفة، فيكفيها شرفا أنها ولجت باب عوالم رحبة، بإمكانها أن تكون مضمارا للتدارس، وتلاقح الأفكار.

وهذه القراءة – الدراسة- يكفيها شرفا أنها تناولت - وإن جنحت أو قصرت- عملا لأستاذ قدم ولا يزال، خدمات جليلة لأجيال. وأجيال وحسبي أني حاولت واجتهدت، لعل الله يجازيني أجر الاجتهاد. **وبالله التوفيق.**

المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا ألفبائيا

I- المصادر:

* الشريف ميهوبي، سألت التاريخ عن أمتي فأبان، شركة باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية والنشر،2003.

1- ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف يسن النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1987.

2- ابن السراج، الأصول في النحو، تح/ عبد الحسين الفتيلي، مؤسسة الرسالة، ط4، 1994.

3- ابن جني، الخصائص، تح/ محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د/ط، 1955.

4- ابن فارس، أبو الحسن أحمد، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط2، 1987.

5- ابن منظور، لسان العرب، دار صدر، بيروت، لبنان، ط1، 1955.

6- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق 2، الغافوري دار الجيل، بيروت، لبنان ط2، 1997.

7- جمال الدين عبد الله الفاكهي، شرح الحدود النحوية،تحقيق محمد الطيب الابراهيم، دار النفائس بيروت، طا، 1996.

8- الرازي، التفسير الكبير، تصحيح هيئة من العلماء، دار أحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط3، د/ت.

9- الزجاجي، الايضاح في علل النحو، تح/ مازن المبارك، دار النقائس، ط3، 1979.

10- الزمخشري، اساس البلاغة، تح/ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1982.

11- سيبوية، الكتاب، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، د/ت.

12- الشريف الجرجاني، التعريفات، تح/ عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، د/ط، 1991.

13- المبرد أبو العباس، المقتضب، تح/ عبد الخالق عظيمه، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د/ط د/ت.

II- المراجع:

1- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، بيروت،1995.

2- (ـــــــ. ـــــــ)، التطور اللغوي، دار الأندلس، بيروت ،لبنان، ط3، 1983.

3- (ـــــــ. ـــــــ)، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1983.

4- إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، 1966.

5- أبو أوس ابراهيم الشمسان، أبنية الفعل، دلالتها وعلاقتها، دار المدن، جدة، ط1، 1987.

6- أحمد حساني، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1993.

7- أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الأعراب في النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1983.

8- أحمد يوسف، القراءة النسقية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان ط1، 2007.

9- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغويين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1999.

10- (ـــــــ. ـــــــ)، معجم الإعراب والإملاء، دار شريفة، الجزائر، د/ط، دت.

11- أندري مارتينيه، مبادئ السنية عامة، ترجمة ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، لبنان ط1، 1990.

12- برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، تر/ رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة د/ط، 1982.

13- بشرى موسى صالح، نظرية التلقي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001.

14- تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، طII، القاهرة،2004.

15- (ـــــ. ـــــ)، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 1979.

16- (ـــــ. ـــــ)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، د/ط، 1955.

17- توفيق قريرة،المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس طI 1996.

18- جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر 2001.

19- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان، ط1، 1984.

20-جير وبيير، علم الدلالة، ترجمة، منذر العياشي، دار طلاس، دمشق، 1992.

21- حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان الأردن، 2002.

22- رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

23- (ـــــ. ـــــ)، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع،عنابة، الجزائر، 2006.

24- رومان ياكبسون، محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.

25- ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972.

26- زكريا ميشال، التطور الدلالي في الشعر العربي المعاصر، كتابات معاصرة، بيروت، مج2 ع5، 1990.

27- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، 2004.

28- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

29- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة رقم 164، 1992.

30- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، د/ت.

31- عبد الجليل مرتاض، التحليل اللساني البنيوي للخطاب، دار الغرب للنشر والتوزيع،2001-2002.

32- عبد الجليل مرتاض، مباحث لغوية في ضوء اللسان الفكري الحديث، منشورات تالة الأبيار، الجزائر، 2003.

33- عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.

34- عبد العباس عبد الجاسم أحمد، التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.

35- عبد الله ابراهيم وصالح هويدي، تحليل النصوص الأدبية ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان،1998.

36- عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

37- عبده الراجحي، التطبيق النحوي،دار النهظة العربية، بيروت، لبنان، 1979.

38- عفيف دمشقية، خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1982.

39- علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، بدون تاريخ.

40- عمر أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

41- عمر أوكان، اللغة والخطاب، افريقيا الشرق، المغرب، 2001.

42- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، طا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002.

43- فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، دار الفكر بدمشق، سوريا ط1،2003.

44- كلاوس برينكر التحليل اللغوي للنص، ترجمة، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

45- كمال بشر، علم اللغة العام، دار المعارف، مصر،د/ط، د/ت.

46- مبارك مبارك، قواعد اللغة العربية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1973.

47- محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية، جزءان، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2001.

48- محمد الرحالي، تركيب اللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط1،2003.

49- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

50- محمد خان، الجملة الفعلية ودلالاتها في سورة البقرة، رسالة ماجستير، جامعة عنابة، الجزائر 1985.

51- محمد خطابي، لسانيات النص، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.

52- محمد عبدو فلفل، اللغة العربية، ثوابت ومتغيرات، دار الينابيع، دمشق، طا، 2002.

53- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004.

54- محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.

55- مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2002.

56- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط1، 2005.

57- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، مجموعة نصوص مترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.

58- المنصف عاشور، لتركيب عند ابن المقفع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

59- مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للنشر، طا،2002.

60- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط1، 1964.

61- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية، المؤسسو الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1983.

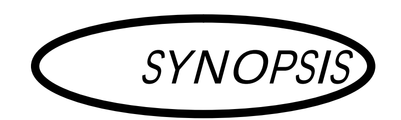
62- نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء المغرب، ط7، 2005.

63- نهاد الموسى، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة،ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2003.

64- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة، الجزائر،1997.

65- نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم، طا، مطبعة المعارف،2005.

66- هنري فلاش، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق،بيروت، لبنان، ط2، د/ت.



Notre recherche traite un sujet émérite dans les approches linguistiques anciennes et modernes : la phrase ou la structure dans un sens plus récent, étant la pierre angulaire pour la genèse des textes à la différence de leurs genres et de leurs types.

De l'importance de la phrase comme élément générateur des textes, les anciens chercheurs l'ont largement étudiée dans ses différentes configurations et sous diverses appellations. Par conséquent, des polémiques ont été déclenchées sur quelques points ou des accords sur d'autres, suscités par la maniabilité de la langue arabe et les changements intellectuels et philosophiques de l'époque, ce qui a contribué à l'enrichissement du patrimoine collectif.

Parvenus à cette ardeur intellectuelle et linguistique, les novateurs l'ont observée et ils ont tenté de l'étudier suivant de nouvelles théories survenues de l'occident.

Quelques linguistes"adeptes" des méthodes occidentales ont essayé de les plaquer sur la phrase arabe, néanmoins, ils ignoraient les particularités de la langue en question.

D'autres ont su se servir de ces innovations en ne faisant recours qu'à ce qui s'assortit avec l'Arabe,ce qui l'a prospérée davantage. Et le Docteur CHERIF MIHOUBI en a donné l'exemple dans son œuvre saalto tarikha ane ommati fa abana(j'ai interrogé l'histoire sur ma nation et elle a confessé), qui mérite d'être un modèle du mariage des deux mouvements ancien et nouveau .Ce dernier a ouvert de nouvelles pistes pour les chercheurs, et les nouvelles marques que porte la phrase arabe ainsi que ses différentes formes en sont la preuve.



ملخص البحث

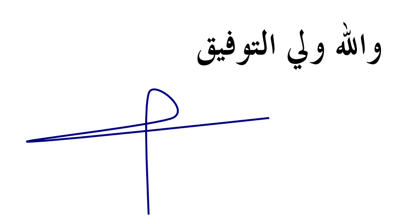
يتناول البحث قضية هامة في الدراسات اللغوية قديمها و حديثها باعتبارها حجر الأساس في بناء النصوص باختلاف أشكالها و أجناسها، ونعني بها الجملة وبتعبير حديث التركيب .

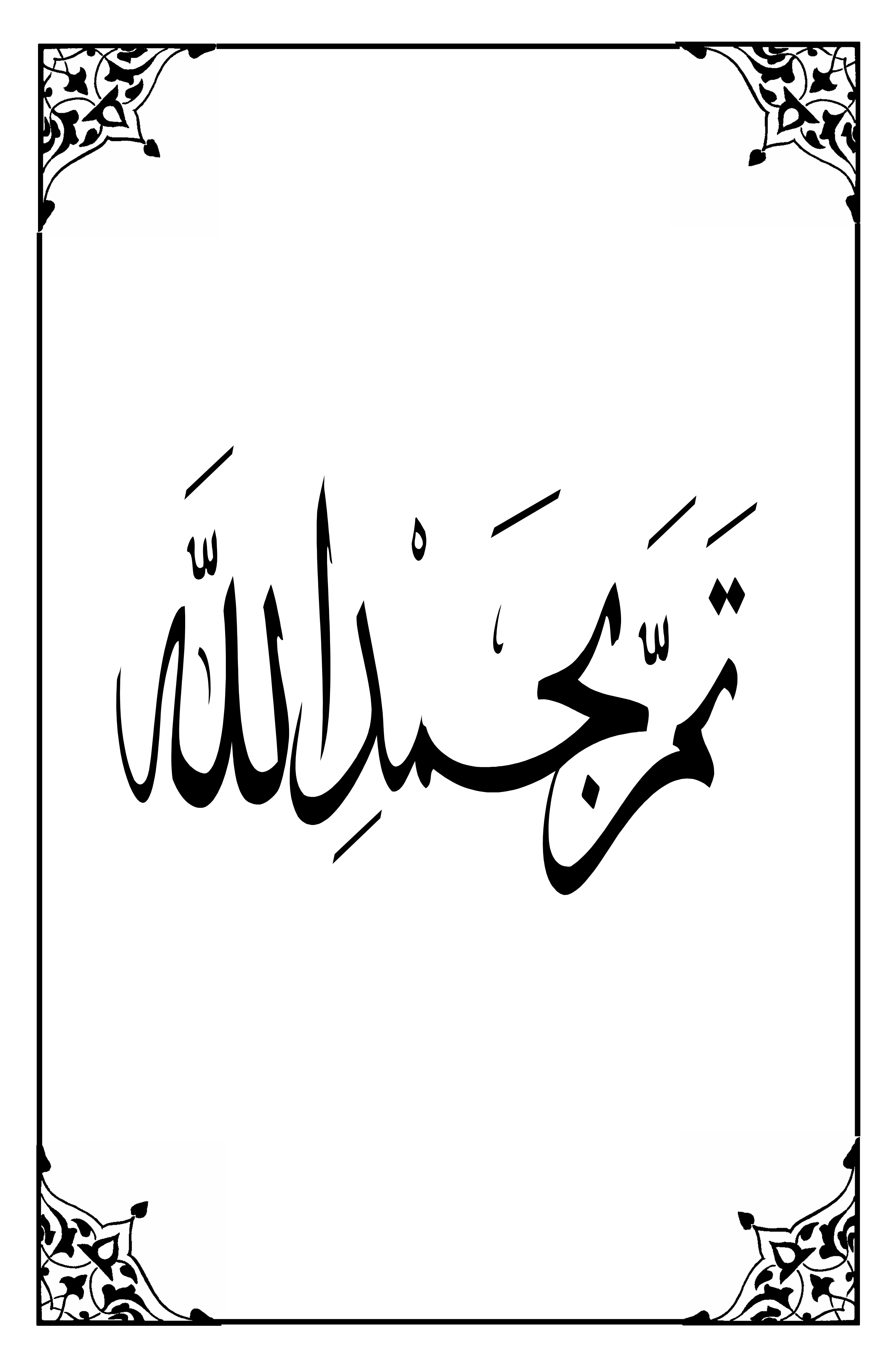
فالجملة باعتبارها النواة الرئيسية لكل تشكيل نصي فقد التفت إليها الأقدمون وعالجوها - وتحت مصطلحا ت مختلفة- من مختلف جوانبها فكان من الطبيعي أن يتفقوا حول بعض الجوانب، ويختلفوا حول بعضها الآخر مستغلين في ذلك مرونة اللغة العربية، ومدفوعين بما جد على الصعيد الفكري والفلسفي. فكانت هذه السجالات الفكرية مباركة على مستوى الموروث الجمعي.ثم جاء المحدثون - ودوافعهم شتى- إلى هذا الزخم اللغوي والفكري الكبير وراحوا يتأملونه ويتدارسونه وفق رؤى جديدة فرضها مناخ فكري وثقافي جديد هبت طلائعه من الغرب ،هذا الغرب الذي اعتنق أفكاره جملة وتفصيلا بعض الدارسين وراحوا يتخذونها مرجعا في دراسة اللغة العربية و بتعبير اصح في دراسة الجملة العربية، وحاولوا في كثير من المرات أن يلبسوها أثوابا خيطت على مقاس غير مقاسها، ولأنهم مقتنعون بالثوب فقد حاولوا أن يشذبوا- إن لم نقل يشوهوا – الهيكل ليتناسب مع محيطهم، عوض أن ينتبهوا – ولعلهم ما أرادوا أن ينتبهوا – إلى أن كل الأعراف تنص على التصرف في الرداء ،لا في المرتدي.

في حين نجد البعض الآخر قد استفاد من هذه الدراسات واخذ منها ما يصلح ويتماشى مع اللغة العربية فزادها بذلك ثراء على ثراء، ولعل منهم الدكتور **الشريف ميهوبي** الذي استفاد من هذه الروافد الجديدة، وظهرت هذه الاستفادة من خلال مدونته - سالت التاريخ عن أمتي فأبان – والتي تصلح لان تكون نموذجا للمزاوجة بين أفكار وتوجهات الأقدمين وبين ما جاءت به الدراسات الحديثة من نظريات من شانها أن تمهد السبيل أمام كل دارس أو متلق.

ولعل الدلالات الجديدة التي تضمنتها الجملة العربية، وكذا الأنماط المتعددة لأشكالها خير دليل على ما نقول.

والله ولي التوفيق




تم بحمد الله